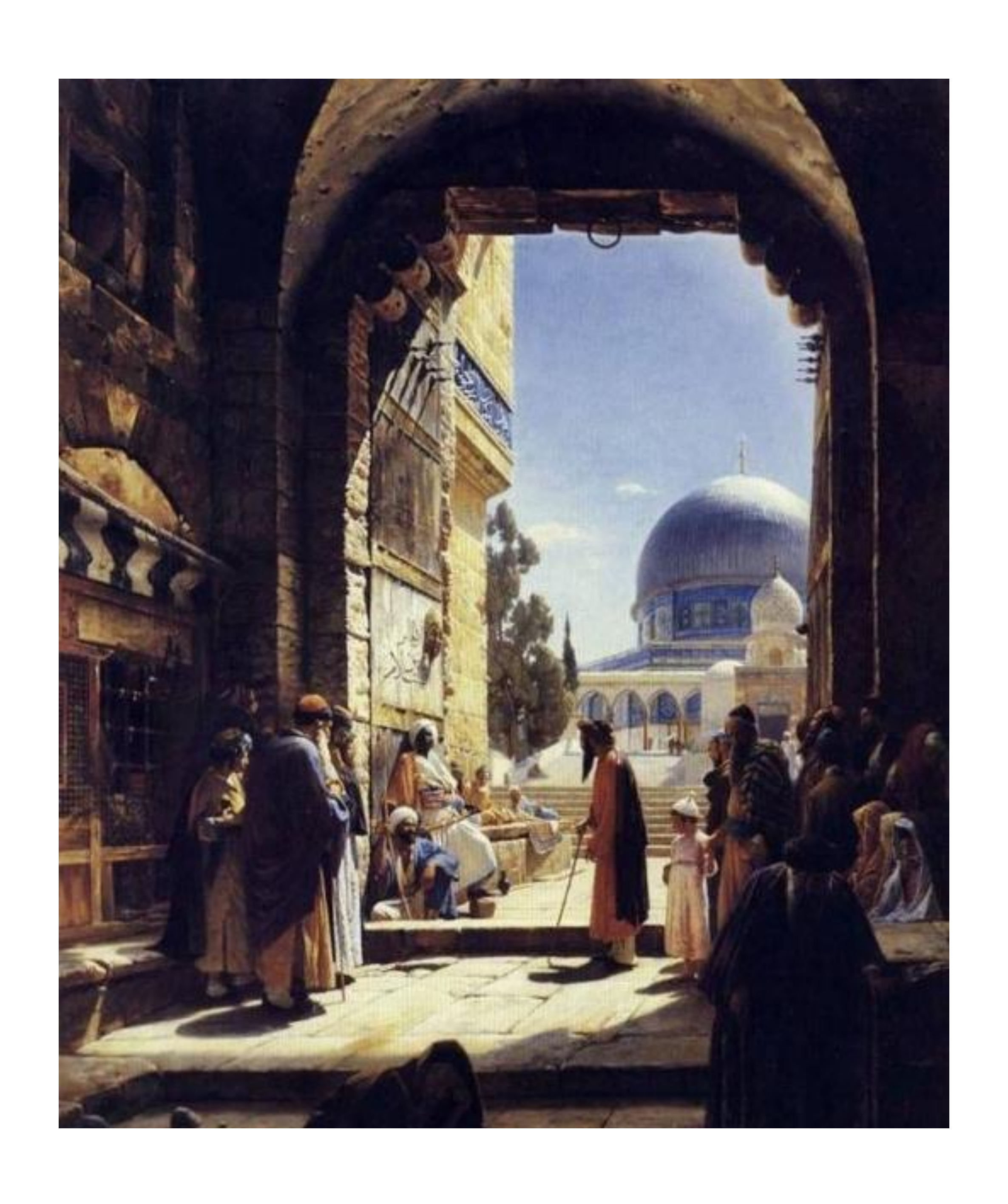


مقالات

بقلم احمد غسان سبانو

المحتويات

- 1979 - الأثر العربي الشرقي في القانون الروماني اللاتيني
- 1980 - تطور الكشف عن الحضار اليمينة
- 1982 - العرب والقبائل العربية في سورية قبل الإسلام
- 1983 - رحلة أحمد وصفي زكريا إلى اليمن وزيارته صنعاء

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق
العدد الأول - السنة الأولى - تشرين الثاني/نوفمبر / ١٩٧٩

ترسل المواد والمراسلات الى العنوان التالي:
اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب: ٣٢٣٠ هاتف : ٤٤٦٧٠٠ — ٤٤٦٧٠١

الأثر العربي الشرقي في القانون الروماني - اللاتيني

المحامي أحمد غسان سبانو



على أرض الوطن العربي كان فجر الانسانية ، وأول حضارة عرفها العالم تلك الحضارة التي هي بحق أم الحضارات العالمية . انها حضارة عربية سامية بدأت مع فجر الانسانية واستمرت دون انقطاع حتى هذا العصر وستبقى مستمرة ما دام على هذا الكوكب نبضة حياة .

ان حضارتنا العربية العريقة تعود الى آلاف السنين الغابرة الا ان دراستنا لتاريخ حضارتنا ما زال في بدايته وقد سبقنا الى هذه الدراسة علماء الغرب فألفوا ووضعوا النظريات والتفسيرات بما يرضي هواهم فقسموا حضارتنا ، وقربوا بعضها وأبعدوا بعضها ، هنا حضارات سامية ، وهنا غير سامية، هنا حضارة تعود لاقوام هاجرت من الجزيرة العربية ، وهنا أقوام لا نعرف أصلهم وفصلهم ، وهدفهم في ذلك واضح ومعلوم .

من ذلك كانت نظرتنا للتراث متضاربة مختلفة ، فبعضنا يعتبر تراثنا هو التراث العربي الاسلامي ، وبعضهم يعيده للوراء قليلا أو كثيرا ، بعضهم يقول قد انقطعت صلتنا بالماضي ، فنحن والقدماء على فراق . الا أن الحقيقة والواقع أن حضارتنا واحدة ومنشأنا بالاصل واحد . عالمنا العربي وشعبنا واحد ، واباؤنا مهما قسموا أو بعدوا ، هم سكان أرضنا العربية ، وتراثهم تراثنا .

الا أن اضاعتنا لتلك الفترات القديمة والمتوسطة القدم في تاريخنا باعد بين التراث مما أوجب علينا البحث والتقصي لنعيد الحق الى نصابه ولنحفظ تراثنا المهدد بالضياع . ولتعرف جماهيرنا صفحات مشرقة من تاريخنا الذي ضمته متاحف ومعاهد التراث الاجنبية ومكتبات الغرب .

من هذه الصفحات ندرس الآن الأثر العربي الشرقي في أهم منجزات الرومان الحضارية ولعلها الوحيدة الا وهي المنجزات القانونية الرومانية لنعرف حقيقة « رومنتها » وتأثير أجدادنا العرب فيها .

تسهل دراسة روما والشعب الروماني لوضوح التأسيس ووضوح التأثير الاجنبي ، ووضوح التكوين .

فلقد نشأت مدينة روما من اتحاد قبائل

من المهاجرين الهندو ـ أوربيين الذين تجمعوا بين نهر « التيبر » ونابولي وسموا باسم اللاتينيين وجاوروا قبائل السابيفيين والاومبريين وقد اتحدوا فيما بينهم وانشأوا مدينة البالونكا عند سفح جبل « آلبان » وعلى بعد عشرين ميلا منها للشمال الغربي انشأوا مدينة لاغراض دفاعية في ٢١/٤/ ٧٥٤ ق٠م على تل البالاتان وأتسعت هذه المدينة فشملت سبعة تلال أشهرها « البالاتان » و « الكابيتول » و « الكيرينال » و « الآفانتان » ٠ هذه المدينة الدفاعية دعيت روما ٠

وكان لهذه المدينةالحظ الوافر فاصبحت هي المركز الرئيسي لشعب اللاتين ٠ وقد تطورت المدينة لتصبح مملكة وبقيت كذلك حتى عام ٥٠٩ ق ٠ م حيث قام النظام الجمهوري الذي بقي حتى عام ٢٧ قبل الميلاد حين اعتلى الحكم في روما « أوغوست » بعد أن انهى حكومة القناصل ٠ وقد مرت الحقوق الرومانية خلال تاريخها في أربعة عهود وهي :

١ ـ عهد نشأة الحقوق ويبتدىء منذ بناء روما عام ٧٥٤ ق ٠ م وحتى سقوط الملكية عام ٥٠٩ ق ٠ م وفي هذا الدور كانت الاعراف والعادات هي التي تحكم وتنظم أمور الناس وما لبثت تلك الاعراف والعادات ان شكلت قواعد قانونية بقيت بايدي رجال الدين ٠

٢ ـ عهد الحقوق الرومانية القديمة : منذ أوائل العهدالجمهوري حتى بدء العصرالأمبرطوري (٥٠٩ ق٠م ـ ١٥٠ ق٠م) ٠

وبهذا العهد توسع الرومان في فتوحاتهم وخالطوا الشعوب المجاورة من يونان وكريت وفينيقيين وكل هذه الشعوب كان للعرب والفينيقيين خصوصاً أثر كبير على حضاراتهم ٠

وبهذا الدور نشأت أقدم النصوص الحقوقية المكتوبة ومنها الالواح الاثنا عشرية عام ٤٤٩ ق ٠ م وكانت الحقوق الرومانية تطبق على الرومانيين ٠ وكان القانون المحلي هو الذي يحكم الشعوب المجاورة والتي أصبحت مع الأيام مستعمرات رومانية ٠ ونتيجة اختلاط الحقوق الرومانية مع أنظمة الحقوق لدى الشعوب الاخرى جرى تطور كبير في الحقوق الرومانية جعلها تبتعد عن البدائية والشكلية وأصبحت أكثر قدرة على استيعاب المسائل المستجدة والمتطورة للمظاهر الحضارية ٠

الا ان السمة الظاهرة هي أن الرومان لم يقوموا بالنقل الحرفي للقانون الاجنبي ٠ بل طوروا مؤسساتهم الحكومية بما يتماشى مع ظروفهم الحضارية ٠

٣ ـ العهد العلمي من عام ١٥٠ ق٠م وحتى عام ٣٠٢ ب ٠ م في عهد الامبرطور قسطنطين وهو أزهى العهود الحقوقية الرومانية وبه ظهر أعظم فقهاء الرومان « فقهاء العهد العلمي » وهم جميعا من أصل فينيقي عربي وأثارهم هي التي سميت فيما بعد « مدونة جوستنيان » كما سنرى ٠

٤ ـ عهد الامبرطورية العظمى (٣٠٢ ـ ٥٦٥ م) من عهد الامبرطور قسطنطين الى موت الامبرطور جوستنيان ولم يكن للابداع دور في هذا العهد بل كانت سمته النقل والتحشية على مؤلفات العهد العلمي ، ولكن في هذا الدور اكتمل التجميع القانوني للمؤلفات والدساتير في مجموعات وصلت

الينا وتبناها نابليون وأخذتها أسرة الحقوق اللاتينية التي تعتمد حقوق نابليون كأساس في قوانينها ٠

فما هي هذه المجموعات ؟

يطلق أسم مدونة جستنيان عادة على ثلاث مجموعات هي كما يلي :

١ ـ مجموعة القوانين والدساتير الامبراطورية وهي تجميع لما صدر من قوانين ودساتير ٠

٢ ـ الموسوعة وتشمل القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني ٠

٣ ـ النظم : وهو مختصر للقانون المدني وهو بالاساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق ٠

ولتبيان الأثر الشرقي العربي على مدونة جستنيان التي أصبحت مجموعة نابليون ، سندرس الأصول التي استقت منها مدونة جستنيان مصادرها ٠ ثم ندرس طريقة تجميع هذه النصوص وأخيرا ندرس كيف انتقلت الينا هذه النصوص ٠

١ ـ المصادر التي أخذت عنها الحقوق الرومانية ومدونة جوستنيان ٠

وهي مصادر الحقوق عامة :

١ ـ العرف والعادة وهو أساس القوانين وقد كان العرف والعادة بالاساس رومانيين بحتين الا انهما تطورا مع الفتوحات فأخذ عن اليونان وكريت وصقليا وبلاد العرب وذلك بتطور المحيط ونتيجة التجارة وتبادل العلماء والاسرى والعبيد والجيوش والسياح وسواهم ٠

٢ ـ المراسيم والدساتير الامبراطورية والمراسيم والدساتير الصادرة عن حكام الاقاليم وهناك أثر كبير للشرقيين العرب في هذه الدساتير حتى ان صياغة عدد منها صدر بفعل أباطره عرب من أسرة الامبراطور سبتيم سيفر (١٩٣ ـ ٢١١) م الحمصية وأولاده كركلا (٢١١ ـ ٢١٧) وغيتا (٢١١ ـ ٢١٢) م وأكابالس (٢١٨ ـ ٢٢٢)م واسكندر سيفروس (٢٢٢ ـ ٢٣٥) م بعد ذلك جاء فيليب العربي ٠ (٢٤٤ ـ ٢٤٩) من شهبا ٠

كذلك كان قسم من المراسيم قد صدر من تأثير رؤساء الديوان الامبراطوري (أي ما يعادل رئيس الوزارة) أمثال بابنيان من حمص والبيان وبولس ومودستان من الساحل السوري ٠

٣ ـ الفتاوي وهي استنباط الاحكام من النصوص الأساسية وقد مرت الفتوي بمراحل كالتالي :

أ ـ مرحلة اعطاء الفتاوي بشكل حر للجميع ٠

ب ـ حصر الافتاء باصحاب الامتياز المعطى من الامبراطور ٠

جـ ـ حصر الافتاء بمجلس استشاري برآسة الامبراطور ٠

د ـ ظهور الفقهاء العلميين وظهور المدارس الفقهية ٠

٤ ـ المؤلفات الحقوقية وقد وصلنا منها عدد محدود ويعود حصرا لفقهاء العصر العلمي السوريين وهم غايوس من الشمال السوري وبابنيان من حمص وبولس والبيان وتلميذه مودستان وهم جميعا من الساحل السوري ٠

٥ ـ دور المدارس القانونية (الجامعات) التي كانت تقوم بالتدريس بمدة أربع سنوات أضيف اليها فيما بعد سنة خامسة وأهم هذه الجامعات معهد روما ومعهد « أثينا » ومعهد القسطنطينية ثم معهد بيروت ومعهد الاسكندرية ومعهد القيصرية والثلاث الاخيرات عربيات المنشأ والأقليم .

٦ ـ دور المحاكم وقرارت القضاء سواء ما يطبق منها الحقوق الرومانية أو ما يطبق القانون الاجنبي الأكثر تطوراً .

●● كيف وصلت الينا مدونة جوستنيان ؟

وهذا يقتضي البحث في تطور الحقوق الرومانية حتى أصبحت باسم مدونة جوستنيان أي كيف تشكلت مدونة جوستنيان ؟

وبالتالي كيف أصبحت مدونة جوستنيان قانوناً فرنسيا ؟

وأخيراً كيف دخل القانون الفرنسي الى قوانين البلاد العربية وأصبح مطبقا فيها ؟

أولا : أصول مدونة جوستنيان .

كان أول تجميع وتدوين للحقوق الرومانية في عام ٤٤٩ ق . م عندما ظهرت الالواح الاثنا عشرية . الا ان التجميع والتدوين العلمي للقوانين والانظمة والدساتير الرومانية أنما تم عام ٢٩١ م بالشكل التالي مع ذكر أهم المجموعات :

٦ ـ المجموعة الأولى المجموعة الجريجورية الصادرة عام (٢٩١) م في عهد دقلديانوس وسميت جريجورية نسبة لجامعها وقد ضمت الدساتير من عهد هادريان الى عهد دقلديانوس مرتبة حسب تاريخ صدورها .

ب ـ المجموعة الهرمونية نسبة لجامعها هرموجنيان وكملت سابقتها وصدرت بعد عدة سنوات منها .

جـ ـ المجموعة النيودوزية نسبة الى الامبراطور نيودوز الثاني وصدرت عام (٤٣٨) م شاملة للدساتير من عهد قسطنطين حتى تاريخ صدورها .

د ـ مجموعة جيستنان وتضم ثلاث مجموعات :

١ ـ مجموعة القوانين ونظم الدساتير الامبراطورية وصدرت نهائيا عام ٩٢٩ م .

٢ ـ الموسوعة : وتشمل القانون القديم متمثلا بكتابات الفقهاء وصدرت عام ٥٣٣ م .

٣ ـ النظم : وهي مختصر القانون الروماني ووضعت بالاساس لغرض تدريسي . وصدرت عام ٥٣٣ .

ثانيا : من جستنيان الى نابليون :

صدرت مدونة جستنيان في عهده وبقيت مطبقة حتى القرن الثامن الميلادي وفي عام ٧٤٠ وضع الامبراطور ليون باللغة الاغريقية مختار القوانين . وفي القرن التاسع قام الامبراطور بازيل (٧٦٧ ـ ٨٧٩) م بوضع مجموعة سماها « الموجز في القوانين » .

وفي نهاية القرن التاسع وضع الامبراطور ليون السابع المجموعة « البازيليكية » التي طبقت حتى سقوط القطنطينية بيد « فراك » عام ١٤٥٣ م .

وكل المجموعات المذكورة أخذت نصاً وروحاً عن مدونة جوستنيان وذلك في الامبراطورية الرومانية الشرقية (بعد الانقسام الى شرقية وغربية) أما في الامبراطورية الغربية فقد طبقت مدونة جوستنيان على فترات وخلال مناطق مختلفة وصدرت عليها هناك عدة تعديلات .

في أواخر القرن الحادي عشر قامت في أوربا حركة تهدف الى أحياء القانون الروماني وكان المركز الرئيسي لهذه الحركة مدينة بولونيا في ايطاليا وقد أسس هذه الحركة آرنويولس وأفتتح مدرسة لتدريس مجموعات جستنيان التي كانت تسمي مجموعة القانون المدني وأخذ أرنويولس وبعض الفقهاء بشرح المدونه وتفسيرها ووضع الهوامش عليها وجمعت أعمالهم باسم «الحاشية الكبرى» التي أصدرها أكورسيوس (١١٨٢ - ١٢٢٠) م وعلى أعقاب هذه المدرسة ظهرت مدرسة المحشّين اللامعين وعلى رأسها الفقية بارتول (١٣١٤ - ١٣٥٧) م .

وفي فرنسا وعلى يد الفقية كيجاسن (١٥٢٢ - ١٥٩٠) بدأت الدراسة العلمية لمدونة جوستنيان .

وظهرت حركة مماثلة في المانيا تزعمها الفقية سافيني (١٧٧٩ - ١٨٦١) م وفي فرنسا كان هدف الحكومات الفرنسية توحيد القوانين المطبقة في فرنسا بمجموعات وقد عجزت الملكية عن تطبيق هذا الهدف كما وعجزت الجمهورية عن ذلك أيضاً الا أن نابليون في عهد القنصلية أصدر المجموعة النابليونية في ١٨٠٤/٣/٢٧ . وذلك نقلا عن مدونة جستنيان . وقد فرضتها فرنسا على الدول التي أستطاعت السيطرة عليها آنذاك وعرفت الحقوق الفرنسية بأسم الحقوق اللاتينية القانون اللاتيني في الدول العربية .

تعتبر مصر أولى الدول العربية التي طبقت الحقوق الفرنسية وقد كانت مصر تطبق الشريعة الاسلامية التي تعتبر مصدر التشريع . وأخذت بعض القوانين الوضعية بالظهور اعتبارا من أول القرن التاسع عشر .

وظهر بالتالي القضاء المختلط والقوانين المختلفة التي أعدها أحد المحامين الفرنسيين المقيمين في مصر وأسمه « مونوري » من هذه القوانين القانون المدني المختلط الذي كان في حينه يعتبر ورقة رابحة للتخلص من الامتيازات الاجنبية .

ثم ظهرت المحاكم الأهلية التي تطبق الشريعة الاسلامية وأضافة لها القوانين الوضعية . وتخلصاً من هذا الازدواج بين قانون مختلط وقانون أهلي وكذلك الامر بالنسبة للمحاكم فقد شكلت لجنة أعدت مشروعا أخذت ثلاثة أرباعه من القوانين المصرية المختلطة والاهلية التي أساسهما القانون الفرنسي . أما الربع الرابع فقد أخذ أحكامه من الشريعة الاسلامية السمحاء وطبق هذا المشروع كقانون عام ١٩٤٨ .

وفي سورية طبق القانون المصري بنصه وحرفيته عدا تبديل أسم الدولة وبعض التبديلات البسيطة الاخرى وصدر في سوريا ١٩٤٩ . كذلك طبق في لبنان والعراق وليبيا وغيرها من الدول العربية .

الأثر العربي الشرقي في الحقوق الرومانية :

ويتجلى هذا الأمر في مصادر الحقوق الرومانية وفي متنها وفي طريقة تجميع هذه الحقوق .

١ ـ الأثر العربي الشرقي في مصادر الحقوق :

ففي العرف والعادة كان لاختلاط الرومان المباشر مع البلاد العربية وسوريا على الخصوص والمستعمرات الفينيقية القديمة أو الدول التي كان للفينيقيين والعرب عموماً تأثير مباشر عليها مثل اليونان وكريت وغيرها ونتيجة للحروب والاسرى والتجارة والسياحة وسواها كان التأثير العربي للعرف والعادة الرومانية ٠

أما في المراسيم فانها أيضا صادرة عن تأثير هذا الاختلاط المذكور ٠ وكنا قد ذكرنا ان هناك خمس أباطرة سوريين ولا أقل عن أربعة رؤساء دواوين (رؤساء وزارة) عرب سوريين حكموا روما واصدروا الكثير من المراسيم نذكر أسمائهم كما يلي :

الاباطرة : أسرة سيفير الحمصية وقد حكمت على الشكل التالي : سبتيم سيفر (١٩٣ ـ ٢١١) م كركلا (٢١١ ـ ٢١٧) وغيتا (٢١١ ـ ٢١٢) م وأكابالس (٢١٨ ـ ٢٢٢) م واسكندر سيفروس (٢٢٢ ـ ٢٣٥) م ٠

ثم جاء امبراطور آخر من أسرة سورية عربية من مدينة شهبا هو الامبرطور فيليب العربي الذي حكم ما بين عامي (٢٤٤ ـ ٢٤٩) م ٠

أما رؤساء الدواوين والحكام البرينوريين (القضائيين فنذكر منهم : بابنيان / وبولس / / واولبيان / ومودیستان / ٠

كما وان هناك الكثير من المراسيم التي صدرت تخص مفتين عرب نظمت الفتوى أو أعطت كتابات بعض المفتين أولوية في التطبيق نذكر من هذه المراسيم ما يلي :

١ ـ دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢١ م الذي أمر فيه بعدم الاعتداء بالحواشي التي وضعها الفقهاء أولبيان وبولس على كتاب الفتاوي للفقيه بابنيان وكل من ذكر من أصلي عربي سوري ٠

٢ ـ دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢٧ م الذي يعطي لكتاب الاحكام للفقيه بولس قوة رسمية مطلقة ٠

٣ ـ قانون الاسانيد الصادرة عن تيودوز الثاني أمبراطور الشرق ٠ وفالنينيان الثالث امبراطور الغرب الصادرة عام ٤٢٦ م الذي نظم بموجبه طريقة الاعتماد على الافتاء ٠ فقد أعطى هذا القانون لكتابات كل من غايوس وبابنيان وبولس واولبيان ومودیستان وهم جميعاً من العرب السوريين قوة القانون ٠ وقد نظم الاستدلال بآرائهم على الشكل التالي: اذا أجمع هؤلاء الفقهاء على رأي في مسألة معينة كان رأيهم ملزما للقاضي ٠ فان لم يجمعوا الزم القاضي بأخذ رأي الاكثرية وفي حال التساوي على القاضي الاخذ بالرأي الذي فيه الفقيه بابنيان ٠ فان لم يكن لبابنيان رأي كان للقاضي حرية اختيار ما يناسبه ٠

أثر العرب في الفتاوي :

وقد ذكرنا بعض هذه الآثار في البحث السابق ونضيف أن أهم كتب الفتاوي انما صدرت عن الفقهاء الخمسة (فقهاء العصر العلمي) المذكوريين وهم عرب سوريين ٠ وسنرى ان مدونة جوستنان ان هي الا نتف من فتاوي الفقهاء كانت في معظمها لمفتين عرب سوريين ٠

أثر العرب في المدارس الحقوقية :

المدارس الحقوقية التي كانت معروفة في ذاك

العهد هي ست مدارس : روما والقسطنطينية وأثينا والقيصيرية وبيروت والاسكندرية ٠ ونرى ان المدارس الثلاث الاخيرات مدارس شرقية علماً بأن أهم هذه المدارس وأكثرها أثرا على الحقوق الرومانية هي مدرسة بيروت وسنتحدث عنها فيما بعد ٠

المحاكم وقرارات القضاء :

ليس من السهل تتبع أثر العرب في هذا المصدر من مصادر الحقوق لتشعب الموضوع وكثرته وضياع الوثائق والمؤيدات التي تظهر هذا الأثر الا أن ما قلناه عن أثر الشرق في العرف والعادة في الحقوق الرومانية ينطبق هنا أيضاً ٠

وثمة تأثير آخر مهم لا بد من ذكره الا وهو أثر المؤلفات الحقوقية في الحقوق الرومانية ٠ولدينا قائمة بمؤلفات كثيرة لحقوقيين عرب وروممان ٠ الا اننا لا نعرف ولم يصلنا الا مؤلفات محدودة هي بكليتها لفقهاء الدور العلمي المذكورين ٠ وقد ذكر ان غايوس قد ألف كتاب النظم الذي وصلنا كاملا وان بابنيان ألف : (١٩) مؤلفاً في المناقشات القانونية و (٣٧) مؤلفاً في المسائل القانونية وله كتاب « الاسئلة » وكتاب « الاجوبه » وله أيضاً كتاب « الفتاوي » ٠

أما أولبيان فأهمكتبه كتابه المشهور «كتاب القواعد » وكتاب « الاستشهادات » ٠

وبولص ألف الكثير من المؤلفات الفقهية وخصوصاً تعليقاته على كتاب بابنيان وله كتاب « التقريرات المأثورة » ٠

ومودستان له مؤلفات في الحقوق كتبها باللغة اليونانية ٠

وأن أهم الكتب التي وصلتنا هي كما يلي :

١ ـ كتاب القواعد للفقيه أولبيان وقد وصل الينا بصورة مختصرةكما جاء وصفه له على لسان أحد كتّاب القرن الرابع الميلادي ووصل الينا أيضاً عن طريق مخطوط دوّن في نهاية القرن العاشر الميلادي ٠

٢ ـ كتاب النظم للفقيه كايوس السوري وقد وصل الينا كاملا مما يعد أصدق وأبرز مصدر علمي عن الحقوق الرومانية وقد عثر عليه باحدى كنائس فيرونا بايطاليا عام ١٨١٦ م ٠ وقد تبين ان الكتاب قد قشط وأزيل عن ورقاته وكتب فوق الاوراق كتاب آخر يتضمن نصوصاً دينية ٠ الا أنه تم اعادة النص الاساسي بعد معالجته بطرق كيميائية خاصة ، الا أن هناك بعض الصفحات الناقصة التي عوضت بما عثر من أوراق بردى بمصر تتضمن الصفحات الناقصة ٠

ويعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب عن الحقوق الرومانية وصل الينا والتي كسفت بنورها شمس جميع ما تقدمها ولعل ذلك سر فقدان آثار من تقدمه من الفقهاء ٠

وقد جاء ترتيب هذا الكتاب كما ترتب كتب الفقه والقانون عندنا حاليا فيبدأ بالقواعد المتعلقة بالاشخاص ثم الأشياء فالاموال والدعاوي وقد أخذ عنه جوستنيان الترتيب ومعظم الاحكام في الكتاب الذي صدر عام ٥٣٣ بنفس الاسم ضمن مدونة جوستنيان ٠

٣ ـ كتاب الاحكام « سانتانس » للفقيه بول ولم يصل بصورته الاصلية بل بصورة مختصرة له عن طريق المجموعة القانونية التي وضعها الملك الاريك الثاني ملك القوط الغربي عام ٥٠٦ م ٠

٤ ـ الكتاب السوري الروماني : وهو من أكثر الكتب أثارة للجدل ... كما سنرى وقد صدر هذا الكتاب باللغة اليونانية ثم ترجم في القرن الخامس الميلادي الى السريانية ثم ترجم الى العربية في القرن الثامن الهجري وكان يتضمن بعض القواعد القانونية التي كانت مطبقة في سوريا في العهد الروماني ، اضافة الى القوانين الرومانية .

الأثر العربي والسوري في متن مدونة جوستنيان :

قلنا أن مدونة جستنيان تشتمل على ثلاث مجموعات الاولى : مجموعة القوانين والدساتير الامبراطورية وهي تشبه الجريدة الرسمية عندنا حاليا . والثانية الموسوعة وتشتمل القانون القديم وتتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني . وأخيرا النظم وهو مختصر القانون المدني وهو بالاساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق .

أ ـ فالاثر العربي في مجموعة القوانين والدساتير بالطبع محدود وقد ذكرنا أن العرب شاركوا في القوانين والدساتير الرومانية سوا من ناحية اصدارها بصفتهم قد حكموا روما كأباطرة (أسرة سبيتم سيفر) وفيليب العربي « لمدة أكثر من خمسين سنة . أو من ناحية أخرى في مشاركة العرب بالحكم كرؤساء دواوين (وزارات) وكحكام بريتوريين أو كأعضاء في مجالس الاحكام وذكرنا عددا من الدساتير التي تخص العرب .

ب ـ أما أثر العرب في الموسوعة التي تحتوي على القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم القانون المدني والتي أخذ عنها نابليون وبالتالي القوانين المدنية الحالية لكثير من الدول الاجنبية والعربية .

فقد صدرت استنادا لاقوال ٣٨ فقيها وذلك على شكل فقرات (مواد) فكان مجموع فقرات المواد ٩١٢٤ فقرة وقد ذكر فيها أسماء للفقهاء بعدد (٣٦٦٥) مره . فكان حصة فقهاء العصر العلمي الخمسة العرب السوريين على الشكل التالي :

١ ـ غايوس أخذ منه ٥٣٦ فقرة وذكر فيها ٤ مرات .

٢ ـ بابنيان أخذ منه ٥٩٦ فقرة وذكر فيها ١٥٣ مرة .

٣ ـ أولبيان أخذ منه ٢٤٦١ فقرة وذكر فيها ٢٠ مرة .

٤ ـ بولس أخذ منه ٢٠٨٧ فقرة وذكر فيها ٤٥ مرة .

٥ ـ مودستين أخذ منه ٣٤٥ فقرة وذكر فيها ٢ مرة .

المجموع	٦٠٢٥	٢٢٤ مرة .
من أصل	٩١٢٤	٣٦٦٥ .

يضاف الى ذلك ما أخذ عن تلاميذ هؤلاء الفقهاء أو عمن اشتهر من مدرسة بيروت العربية .

ويبلغ عدد الفقرات التي أخذت منهم ١٣٢٩ فقرة فيكون المجموع (٧٣٥٤) فقرة .

وأهم الفقهاء المذكورين :

١ ـ سكتيوس بمبونيوس وأخذ منه ٥٥٨ قطعة .

٢ ـ كنتوس سرفيديوس شيفولا وأخذ منه ٣٠٧ قطعة .

٣ ـ كالسترات وأخذ منه ١٠١ قطعة .

٤ ـ أريوس ميندر وأخذ منه ٦ قطـع ٠

٥ ـ اليوس مرسيانوس وأخـذ منـه ٢٨٢ قطعة ٠

٦ ـ كالوديوس تريفونينوس وأخذ منـه ٤١ قطعة ٠

٧ ـ ليسينوس روفينوس وأخذ منـه ١٧ قطعة ٠

٨ ـ مبليوس ماسير وأخذ منه ٦٢ قطعـة ٠

٩ ـ فلور نتينوس وأخذ منه ٤٢ قطعة ٠

مع ملاحظة ان الأسماء والفقرات مأخوذة عن بلمندو « مدونة جوستنيان » ترجمة المرحوم عبد العزيز فهمي « الملاحق » ٠

جـ ـ النظم أو المختصر وتتالف من أربعة كتب الاول مؤلف من ٢٦ باباً والثاني ٢٥ باباً والثالث ١٧ باباً والرابع ١٨ باباً وكل باب مقسم الى بنود ٠ وقد أخذت عن مؤلفات فقهاء العصر العلمي العربي٠ فكانت في معظم نصوصها منقولة عن كتاب النظم لكايوس وقد أخذت نفس خطة الكتابة من حيث التنظيم والتبويب ٠

ولقد ترجم هذا الكتاب الى العربية عن نص بلوندو من قبل المرحوم عبد العزيز فهمي ونشر عام ١٩٤٦ بأسم مدونة جستنيان ٠

الأثر العربي والشرقي في تجميع المدونة وتسجيلها:

أ ـ في مجموعة القوانين :

صدر الامر من الامبراطور جوستنيان بتاريخ ٥٢٨/٢/٣ بتشكيل لجنة برئاسة تريبونيـان (وزير العدل) وهو خريج معهد بيروت وعضوية نيوفيل استاذ مدرسة القسطنطينية ومن استاذ معهد بيروت ليوليد ستوس ، وقد صدرت في ٤/٧/٥٢٩ ٠

ونظراً لوجود تضارب في ضمنها شكلت لجنة برئاسة وزير العدل تريبونيان والاستاذ دورنية استاذ معهد بيروت وثلاثة من المحامين ٠

ب ـ في الموسوعة :

وقد جمعت بعد تشكيل لجنـة صدرت بدستور في عام ٥٣٠ واللجنة مؤلفة من وزير العـدل المذكور وعضوية استاذين من معهد بيروت وهمـا دورنيه واناتوليوس واستاذين من مدرسة القسطنطينية هما نوفير وكرانيتو واحد عشر محاميا واحد كبار موظفي الدولة الذي كـان استاذا سـابقا لمدرسة بيروت وقد اتمت اللجنة عملها في عام ٥٣٣ وأرجعته الى ٨١ مؤلفا فقهيا ٠

النظم : المختصر للقانون الروماني :

وقد قام بوضعه لجنة ثلاثية مكونة من وزير العـدل والاسـتاذ دورنيه استاذ مدرسـة بيروت والاستاذ نيوفيل استاذ القسطنطينية وصدرت في عام ٥٣٣ ٠

ومن الفقهاء الذين عملوا في هذه اللجان كل من « استيفانوس » و « تلليلييوس » و « تيودور درموبوليس » و « سيريل » ٠

وقد لاحظنا الاشتراك الفعلي لاساتذة مدرسة بيروت للحقوق أو طلابها اشتراكا فعليا في جمع وتدوين مدونة جوستنيان ٠ وهؤلاء أما ان يكونوا عربا سوريين أو زائرين بيروت للدراسة فيهـا الا أنه لا يعرف بالضبط جنسيتهم ٠

وختاما للبحث نوجز نبذة عن حيـاة فقهـاء العصر العلمي ولمحة عن مدرسة بيروت ٠

فقهاء العصر العلمي العرب :

وقد وصف بلوندو الفقهاء العرب الخمسة غايوس بابنيـان وأولبيـان وبولس وموديستان

فقال : « ان هؤلاء الاربعة وقبلهم قد تركوا آثارا حقوقية تكاد تكون المرجع الوحيد للحقوق الرومانية ٠ وهي التي وصلت الينا تقريبا دون غيرها » ٠ ويضيف واصفا حالة الفقه القانوني بعد زمانهم :

« فقد أعقبه ظلام حالك حدث فجأة وبدون آية فترة انتقال تتوسط الحالتين ٠ فكان بابنيان وبولس واولبيان ومودستان اذ قضوا جروا معهم الى القبر سر علم الكلام ذلك العلم العجيب الذي يقول عنه الفيلسوف ليبنتز انه تكاد الدقة فيه لا تقل عن دقة المهندسين » ٠

وبعد انتهاء عصر هؤلاء الفقهاء اضمحل دور الفقه في القانون الروماني فكان الفقيه بعدهم يقتصر بعمله على النقل والتحشية على مؤلفاتهم فقط ٠

فمن هم هؤلاء الفقهاء ؟ :

١ ـ غايوس :

وهو أقدم الفقهاء الخمسة وقد جاء ذكره في دستور فالنتيان (قانون الاساتيد) الذي أشرنا اليه٠ وقد لمع نجم غايوس في فترة حكم الامبراطور مارك أوريل (١٦١ ـ ١٨١) م ٠ ومعلوماتنا عن حياته قليلة جدا ٠ وقيل ان أصله يعود للشمال السوري ولكن لا يمكن تحديد أصله بشكل دقيق جدا ٠

وتعرف مؤلفاته بشكل جيد فله مدونته الخاصة التي تسمى (المختصر) وقد كانت رائجة لدى كافة طلاب الحقوق حتى وصلت الى جستنيان فكانت أساسا للجزء المسمى (النظم) وقد أمر جستنيان باعتبار هذا الجزء كتابا رسميا لتعليم الحقوق والفقه للشبان ٠

وذكرنا كيف وصلنا كتاب غايوس هذا في الكتاب الذي قشط منه تأليف غايوس ودوّن بدلا عنه أدعية كنسيه ولكن أمكن اعادة النص الاصلي بالطرق الكيميائية ٠

٢ ـ أميل بابنيان او اميليوس بابنيانس :

ولد أميل بابنياس في مدينة حمص عام ١٤٢م وقتل عام ٢١٢ م وقد درس الحقوق في بيروت ثم أصبح استاذا في معهد بيروت للحقوق ٠٠ ويعتبر بابنيان أشهر الفقهاء في العالم وفي كل العصور ٠ وقد استدعي الى روما عام ١٩٨ م من قريبته « جوليادومنه » ، زوجة الامبراطور الحمصية « سبتيم سيفر » فكان حاكما قضائيا ثم رئيس مجلس الاحكام ورئيسا للديوان (للوزراء) ثم قائدا للحرس الامبراطوري ونائبا للامبراطور أثناء غيابه وكانت له رسالته في الدفاع عن الحق وعن العبيدلانهم أحرار برأيه بالفطرةواشتهر بالدفاع عن النساء لان لهن من الحقوق برأيه ما للرجال ٠

وقد قتل بابنيان بأمر من الامبراطور كركلا (ابن سبتيم سيفر الذي قتل شقيقه الامبراطور غيتا عام ٢١٢ م) بفأس لان بابنيان رفض كتابة دفاع وتبرير لكركلا تبيح للاخير قتل أخيه دفاعا عن النفس وكان جوابه المشهور الذي سبب قتله « ان ارتكاب جريمة قتل الوالدين ايسر من تبريرها » ويعني تبرير قتل كركلا لاخيه وقال : « ان تبرير قتل النفس ليس اسهل من اقتراف القتل » ٠

وقد وصف كركلا بأنه (قاتل أخيه وبابنيان) لشهرة « بابنيان » وعقب مقتل غيتا قام كركلا بقتل كل من له علاقة بأخيه فقتل ما يزيد عن عشرين ألفا من ذكور وأناث وقال المؤرخ جيبون

في هذا الخصوص «ذرف الاصدقاء والاسرات الدموع خفية على اعدام هؤلاء المواطنين ولكن اعدام بابنيان كان محزنا بوصفه كارثة عامة » ٠

وقد ألف بابنيان « ١٩ » مؤلفا في المناقشات القانونية و « ٣٧ » مؤلفا في المسائل القانونية ٠ وله كتابان مشهوران جدا هما « الأسئلة » و « الأجوبة » وقد كان كتابه « الأجوبة » مقررا في برامج السنة الثالثة في مدارس الحقوق الرومانية٠

كذلك له كتاب آخر لا يقل شهرة عن سابقيه وهو كتاب « الفتاوى » ٠

ويقول بلوندو عنه « ان التراث العظيم الذي تركه لم يتركه أي روماني فقيه آخر » ٠ وقد أدخل لا أقل من ٥٩٦ فقرة من كتاباته في موجز جستنيان وذكر فيه ١٥٣ مرة ٠ وقد لقبه الرومان بأمير الفقهاء وأكراما له أقيم تمثاله في مدخل قصر العدل الحالي بروما ٠

٣ — يوليوس بولس :

محام وفقيه عربي سوري من الساحل السوري وكان أستاذا في مدرسة بيروت للحقوق وزميلا وصديقا لبابنيان وقد استدعاه الاخير الى روما في عهد الامبراطور سبتيم سيفر وكان عضوا في مجلس الاحكام (من العدول أي الاعضاء) في عهد رئاسة بابنيان للمجلس وقد استلم عدة مناصب في روما ٠ ووصل الى منصب رئاسة مجلس الاحكام ٠

ترك كثيرا من المؤلفات وخصوصا تعليقاته وشروحه على مؤلفات بابنيان ٠ وقد رأينا انه صدر دستور بعدم الاعتداد بحواشيه المدونة على كتاب بابنيان٠كذلك ألف كثيرا من كتب التقريرات والقواعد باسم « التقريرات المأثورة » وقد وصلت الينا هذه التقريرات ٠ وهو من المؤلفين الخمسة الذين وردذكرهم في قانون الاساتيد المذكور ٠

٤ — دومتيوس اولبيان :

وهو من ابناء صور في الساحل السوري وكان استاذا في معهد بيروت للحقوق واستدعاه بابنيان ليكون مساعدا له في روما واستلم منصب عضو في مجلس الاحكام ثم رئيسا له وبعد مقتل بابنيان استلم حاكما قضائيا ورئيسا للديوان (رئيس وزارة) وقد جرده الامبراطور السوري «آكابالس» خليفة « كركلا » من مهامه لكن الامبراطور اسكندر سيفروس أعاده مستشارا ٠

وقد أدخل اصلاحات كثيرة على القضاء ولكنها أثارت عليه نقمة بعض الجهات وكذلك قام باصلاحات في الجيش مما آثار عليه الجنود فدخلوا القصر الامبراطوري ليلا وقتلوه أمام الامبراطور اسكندر سيفروس ووالدته رغم حماية الامبراطور له ٠

ويؤخذ عليه اضطهاده للمسيحيين في عهده وأتهم بقتل فلافيانوس وكرستوس رئيس مجلس الاحكام ٠

وهو أكثر فقيه أخذ منه في كتاب الديجست (المختار أو الموجز) من مدونة جستنيان اذ أخذ منه ٢٤٦١ قطعة وذكر فيها ٢٠ مرة ٠

وقد كرمه الرومان بان اطلقوا أسمه على بازيليك وقصر عدل روما التي بنيت في عهد تراجان وبناها ابولودر الدمشقي ٠

كذلك كرمه الايطاليون بان وضعوا تمثاله على مدخل قصر العدل الحالي في روما جانب تمثال بابنيان ٠

٥ ــ هيرنيوس مود ستينوس : او (مودستان):

وهو من أصدقاء وطلاب اولبيان ومن مدينة صور على الساحل السوري وقد درس الحقوق في بيروت وأصبح استاذا فيها واستدعاه اولبيان الى روما ليقوم بمساعدته في أعبائه هناك وذلك في عهد الامبراطور اسكندر سيفيروس ٠

له عدة مؤلفات كتب بعضها في اليونانية وقد ذكر في المدونة مرتين ومن آثاره أخذت ٣٤٥ قطعة ٠

معهد بيروت للحقوق :

برزت مدرسة بيروت للحقوق كأشهر مدرسة للحقوق الرومانية وأطول المدارس عمرا رغم أنها لم تكن الوحيدة كما رأينا ويبدو أن سبتموس سيفروس الامبراطور الروماني من أصل سوري (١٩٣ - ٢١١ م) بدليل انهم قد خلدوا ذكره في بيروت بمعبد انشيء له ووضع داخل المعبد تمثال للامبراطور ٠ وقد شجع المدرسة خلفاء سبتموس السوريين ٠ وكانت اتجاهات المدرسة تصطبغ بالصبغة اليونانية أكثر منها رومانية عكس مدينة بيروت التي كانت رومانية أكثر منها يونانية ٠

لقد اجتذبت مدرسة بيروت الطلاب سواء العرب أو الاجانب وذلك من مختلف مناطق الامبراطورية ٠ ومن خريجي المدرسة كثير من الاباطرة ورؤساء الحرس الامبراطوري والحكام القضائيين ورؤساء الديوان (الوزارة) وكثير من الوزراء والعظام ٠

وكان لاساتذة المدرسة شهرة فائقة وتأثير وتأثير كبير في مؤلفاتهم على الحقوق الرومانية كما رأينا وهذا السبب هو الذي جعل من مدرسة بيروت للحقوق أكاديمية جامعية ذات شهرة عالمية ٠

وقد أطلق عليها الامبراطور جستنيان جامع المدونة (الأم المرضعة للحقوق الرومانية) ٠

كانت الدراسة في المدرسة لمدة أربع سنوات زادها الامبراطور جستنيان الى خمس سنوات لدراسة المزيد من الدساتير الرومانية ٠

وكان طلاب المدرسة معفيين من الخدمة العسكرية على ما يبدو من نص دستور صدر استنادا لطلب فتوى رسمي صادر عن أحد طلبة مدرسة بيروت للحقوق ٠ وكان الجواب ان الطلاب معفون من الخدمة العسكرية أو أي خدمة عامة الزامية قبل تخرجهم أو بلوغهم سن الـ ٢٥ ٠

ولدينا نصوص كثيرة حول حياة الطلاب في هذه المدرسة ٠ وقد كانت الدروس في النهار ، عدا ساعات الليل المخصصة لدراسة الطلاب وكانت المدرسة تعطل بعد ظهر يوم السبت وطوال يوم الاحد من كل اسبوع ٠

ويبدو أن الطلاب كانوا يشكلون جمعيات في المدرسة ٠ كما وان هناك الكثير من الحوادث الطريفة التي وقعت في المدرسة والتي ذكرتها النصوص التاريخية وكثيرين من طلاب المدرسة كانت لهم شهرتهم وقد ورد ذكر بعضهم في هذا البحث ، وذلك على مختلف مراحل تاريخ المدرسة٠

وقد قضى زلزال حدث في ٥٥١/٦/٦١ م على المدرسة وهدمها فوق طلابها وأساتذتها كما هدم مدينة بيروت وكانت ضحية الزلزال ثلاثين ألف شخص من سكان بيروت ومنهم عدد كبير من الطلاب الاجانب ابناء الاسر النبيلة ٠

الا أن تهدم المدرسة لم يوقف نشاط المدرسة فنقلت الدراسة الى مدينة صيدا ريثما يتم بناء الجامعة من جديد ولكن حدثت كارثة قبيل تدشين أبنية الجامعة الجديدة في عام ٥٦٠ م اذ التهمت النيران البناء بأكمله ٠ وبعد هذا لم نعد نسمع أي خبر عن مدرسة أو معهد بيروت للحقوق ٠

بعد هذا الاستعراض للاثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية نجد من يثير قضية مخالفة تماما هي أثر الحقوق الرومانية على الشريعة الاسلامية مدعيا بأن الشريعة الاسلامية قد أخذت عن الحقوق الرومانية ٠

وقد أشيع هذا الموضوع بحثا اعتبارا من القرن التاسع عشر وبالتحديد بعد اكتشاف الكتاب السوري الروماني عام ١٨٦٢ على يد الاستاذ لاند٠ وقد ايد أولا المستشرقون نظرية أخذ الشريعة الاسلامية كثيرا من أحكامها عن الحقوق الرومانية ولكن تراجع الكثير من المستشرقين عن هذا الرأي نتيجة تدقيق الابحاث ودراسة نظريات المشرعين العرب والفقهاء وأصحاب الاجتهاد ومقارنتها بالقانون الروماني وكذلك سائر الفقهاء وأصحاب المذاهب الاسلامية بما فيهم الاوزاعي الذي سكن قرب بيروت وكذلك انقضاء اثر مدرسة بيروت للحقوق قبل ظهور الاسلام ٠

وبالعكس فقد اتجهت الانظار الى الأثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية وكان من أهم الباحثين في هذا الموضوع كولينه ٠

ومما يذكر عن عظمة تأثير الشرق والعرب على الرومان ان قال جوفيات الروماني في نقد ساخر « ان العاصي ـ السوري ـ أخذ يصب في التيبر ـ الروماني » ٠

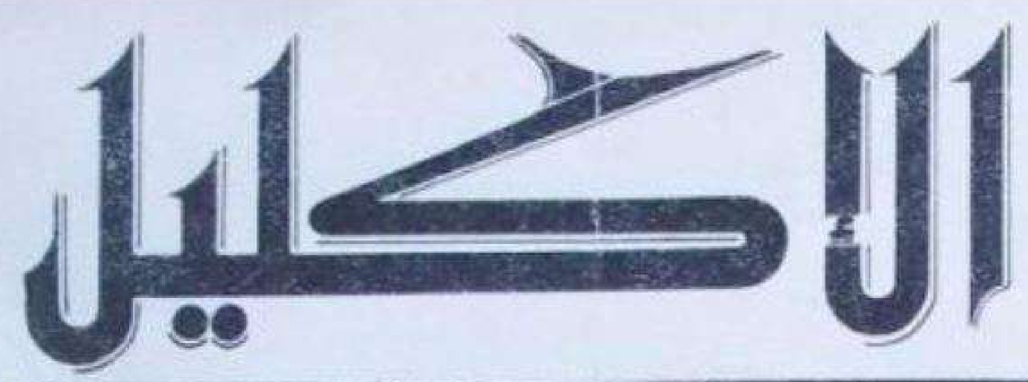
وبالختام فقد لاحظنا تأثير حضارتنا العربية على المصادر التي اخذت منها الحقوق الرومانية وكيف كان لنا دور كبير في تطوير وتوسيع الحقوق الرومانية في مختلف مراحلها ومختلف مصادرها كذلك رأينا مدى اسهامنا في متن الحقوق الرومانية التي وصلتنا وأخيرا رأينا دور العرب والسوريين خاصة في تجميع هذه الحقوق حتى صدرت أخيرا مدونة جستنيان ٠

والآن ٠ اليس من حقنا ان نقول ان الحقوق الرومانية التي جاءت في مدونة جستنيان هي من تأثيرنا ووضعنا ؟

وبالتالي فان قانوننا السوري أو المصري أو العراقي وكل من أخذ عن القانون الفرنسي انما جاء من صنعنا وما هي الا دورة التشريع قد اعادته الينا ؟

فالقانون المصري الذي هو أساس القوانين العربية انما وضع ربعه من الشريعة الاسلامية الغراء وثلاثة أرباعه من مدونة جستنيان التي كان لنا الأثر الأكبر في صنعها كما رأينا اذ كانت الفقرات التي من وضع عربي أو من وضع طلاب عرب أو طلاب اساتذة عرب قد بلغت ٧٣٥٤ فقرة من أصل ٩١٢٤ ٠





مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري - تصدرها وزارة الإعلام والثقافة - صنعاء

العدد الأول / السنة الأولى - صفر ١٤٠٠هـ / يناير - كانون الثاني ١٩٨٠م

حول : تطوّر الكشف عن الحضارة اليمنيّة

أحمد غسان سبانو

كانت اليمن منذ القديم مقرا للحضارات الاولى وكانت مصدر هجرات الساميين الى الشمال والى الغرب ، فيعتقد ان من اليمن هاجر الفراعنة ثم الهكسوس . ومن اليمن هاجر الساميون الاول الى بلاد الرافدين ولسوريا ومن اليمن هاجر (الفينيقيون) والكنعانيون ، وآخر هجرات اليمن كانت هجرة الانباط . وهناك هجرات يمنية احدث الى اسبانيا مع الجيش العربي الفاتح . **ولعل أحدث هجرة يمنية هي هجرة بعض سكان اليمن الى دمشق حيث اقاموا بضاحية منها أطلقوا عليها اسم « صنعاء الشام » وهي في موقع النيربين الآن وقرب موقع مستشفى المواساة الحالي تقريبا .**

الا أن داخل اليمن كان دائما في عزلة تامة فلم يستطع الغزاة دخولها على مر العصور .

أما الغربيون فقد كانوا في جهل مطبق للجزيرة العربية عموما واليمن بشكل خاص وكانت معلوماتهم الجغرافية عن المنطقة خاطئة تماما . فقد كان الظن ان اليمن تمتد اراضيها بشكل ملاصق الى الهند اذ لم يكونوا على معرفة بالخليج العربي. وكذلك كان الاعتقاد لديهم بأن جثمان النبي محمد صلى الله عليه وسلم معلق في الفضاء في البيت الحرام بمكة .

أما المعلومات التي كان يستقي منها الاوربيون معلوماتهم عن اليمن والجزيرة العربية فهي من التوراة التي ذكرت ملكة سبأ وزيارتها لسليمان عليه السلام . وكذلك من الاحباش الذين ذكروا مملكة سبأ أيضا ومن كتب الاغريق فلقد ذكر هيرودوت اليمن في القرن الخامس قبل الميلاد وذلك نقلا عن المعلومات التي أستقاها من مصر .

وكذلك ذكرها « ثيوفراست » تلميذ أرسطو وتحدث عن منتجاتها الزراعية وتحدث أيضا عن مملكة سبأ .

وذكرها المؤرخ اليوناني « ديودور » في القرن الاول وتحدث عن سبأ أيضا وتجارتها

ومنتجاتها وعن العاصمة والملوك٠

وكذلك فعل سترابون ٠ ووصف حملة القائد الروماني آثيليوس غالوس عام ٢٤ ميلادية على اليمن بأمر من الامبراطور أوغوست ٠ وهي حملة ضخمة تمكنت القبائل اليمنية من تمزيقها ٠

ووصف جغرافية شبه الجزيرة العربية واليمن « يراتوستين » ٠

وقد خبر العرب طرق التجارة والابحار من البحر الاحمر الى الهند وعرفوا مواقع الصخور المرجانية الخطرة ودورات الرياح الدورية وأوقاتها٠بينما تأخرت امكانية القيام بهذه الرحلات بالنسبة للاغريق حتى القرن الثاني قبل الميلاد بفضل هيبالوس٠

وأورد المؤرخ الروماني (بلين) معلومات عن أسماء القبائل داخل البلاد واسماء القرى ٠

كذلك جاء في كتاب « دورة حول بحر أريتريا » لمؤلف مجهول اسماء الطرق التي تربط سبأ بالبتراء وسبأ بعمان وحضرموت٠

وأخيرا فان (بطليموس) أورد في كتابه أطلسا حقيقيا للمنطقة وضمَّن كتابه أدق المعلومات التي استطاع الحصول عليها حتى أيامه ٠

ونتيجة قيام الدول العربية الاسلامية واستلامها التجارة البرية والبحرية ووقوفها سدا منيعا امام الاوربيين انقطعت الصلة مدة عشرة قرون ٠ وبقيت الاسرار اليمنية لغز الالغاز حتى عصر النهضة فيما خلا بعض الحالات النادرة ٠

منها أن (رينولودي شايتون) حاكم الكرك التي كانت تابعة لملكة القدس أيام حكم (بودوان دي انجو الرابع) عام ١١٨١ م وقد طمع في الكنوز التي سمع انها في المدينة قام بالتوجه الى هناك لكنه لم يستطع ذلك الا انه هاجم قافلة حجاج سلبها كل ماتملك ٠ ودخل البحر الاحمر بخمس سفن فلسطينية ، وأخذ يهدد المنطقة ويلقي الذعر فيها ٠

الا ان صلاح الدين الايوبي هاجمه بسفن من مصر حملها للبحر الاحمر واستطاع تدمير السفن الصليبية وتابع الجنود المتوجهين للمدينة وهاجمهم ٠ وكان عددهم ثلاثمائة وبعد المعركة بقي منهم مائة وسبعون ، فأسرهم وأعدم بعضهم في مكة والمدينة واقتيد الباقون اسرى الى مصر وحزت أعناقهم فيما بعد ٠

وفي اطار البحث عن التوابل والحرير وسائر المنتجات الهندية والعربية ٠ وفي اطار البحث عن طريق جديد للهند عن طريق افريقيا ، كانت المراحل الاساسية لبدء حملات الغربيين للكشف عن الحضارة اليمنية ٠ فقد كان اطار البحث عن الحضارة اليمنية محصلة لمهمة اساسية هي الكشف عن طريق جديدة للهند٠

ففي عام ١٤٧٨ م أرسل الملك (جان) عاهل البرتغال (بورودي كوفيلها) الذي كان يتكلم اللغة العربية للتحقق من امكانية الذهاب الى الهند مرورا بالبحر الاحمر ٠ وقد رافق قافلة مغربية متوجهة من القاهرة الى شبه الجزيرة ثم أبحر الى عدن ومنها الى الهند وعاد الى القاهرة ٠

وادعى أيضا « ارنولد فون هارف » انه

وصل الى عدن من سيناء بعد ان اجتاز شبه الجزيرة العربية ولكن بالتحقيق تبين عدم صدق روايته ٠

غير أن أول من زار المنطقة بشكل محقق وصحيح هو « لودفيكو دي فارتيما » ، اذ أعطى السبب لرحلته في مذكراته قائلا : « ان الرغبة التي أهابت بالكثيرين الى رؤية الممالك الدنيوية ، هي التي يبدو انها قد دفعتني الى العمل نفسه٠

وبما ان الممالك والمقاطعات الاخرى كلها قد أعلن عنها الكثيرون ، عقدت العزم على رؤية المقاطعات والممالك التي لم يقم اجدادنا بزيارتها الا فيما ندر ٠ واتكالا على معونة الله أبحرنا من البندقية عند هبوب رياح ملائمة » ٠

وقد ابتدأ فارتيما رحلته عام ١٥٠٣م وهو من اصل غير معروف تماما ٠ فالبعض لقبه بالبولوني استنادا لمذكراته وبعض آخر لقبه بالروماني ٠٠ فبلغ القاهرة ثم بيروت فطرابلس وحلب وأخيرا دمشق حيث أقام مدة لتعلم العربية وقد رافق ضابطا من المماليك في مهمته لحراسة قافلة من الحجاج توجهت من دمشق عبر حوران ثم وصف يهود خيبر ثم وصل الى المدينة ثم وصف مكة ومناسك الحج وشبهالمسجدبمدرج الكوليزيه في روما ٠

وقد استطاع الافلات من قافلته وهي تهم بالعودة الى دمشق ثم توجه مع قافلة الى جدة وركب في سفينة متجهة الى بلاد فارس ثم وصل الى عدن واصفا رحلته البحرية ومناطق نزوله للبر ٠ الا أنه في عدن ألقي القبض عليه وسجن ثمانية أشهر ، كاد ان يفقد حياته خلالها ٠ وبعد اخلاء سبيله سافر الى صنعاء ثم عاد جنوبا الى ظفار وتعز ثم زبيد ٠ ثم عاد الى عدن ومنها الى بلاد فارس ثم الى الهند «كلكوتا»٠وقد علم أن البرتغاليين قد وصلوا الى الهند وذلك ضمن رحلة فاسكو دي غاما التي عبرت سواحل جنوبي شبه الجزيرة العربية عام ١٤٩٨م ٠

وقد لحق بهم الى كانوفور حيث يشيدون قلعة هناك وذلك في ١٥٠٥/١٢/٣ م وحذر نائبملك البرتغال من نية الهنود في حربهم وحذر من ان الهنود قد تسلحوا بالمدافع التي صنعها لهم جنديان برتغاليان هاربان ٠ ثم اشترك في المعارك التي نشبت بعد ذلك وانعم عليه ملك البرتغال برتبة فارس عام ١٥٠٨ م بعد ان عاد الى لشبونة ٠ وبعد ذلك توجه الى روما ٠

ولاتعرف خاتمة حياته ولكن كتابه عن رحلته لقي قبولا واسعا ٠ واثر اكتشاف طريق الهند وبدء تركيز البرتغاليين لقواهم في كالكوتا كان مخطط البرتغاليين تحويل طريق التجارة اليهم وذلك عن طريق رأس الرجاء الصالح وهذا يقتضي سد مداخل الخليج العربي والبحر الاحمر لذلك قام البرتغاليون بتشييد حصن لهم في (هرمز) وآخر في البحرين ثم في عمان وحاول « الفونسو دي البوكرك » عام ١٥١٣ احتلال عدن ولكنه فشل في ذلك٠

واثر ذلك قام الاتراك بتوجيه حملتين أسفرتا عن احتلال اليمن ٠ لكن الاتراك اثناء الحملتين استعانوا ببعض الايطاليين « البنادقة » اذ أسروا في ميناء الاسكندرية بحارة سفينة بندقية وأخذوهم معهمكفنيين

ملاحين . وقد قام احد هؤلاء البحارة بنشر قصة دخول اليمن ووصف طرقها البـرية والبحرية وذلك عام ١٥٤٠ م .

وقد قام حاكم الهند البرتغالي « الدون استيفاو دي غاما » برحلة عام ١٥٤١ م اصطحب فيها « الدون جوان دي كاسترو » ووضع كتابا باسم « رونيزو » وصف فيـه البحر الاحمر وموانئه وذلك بطرق علميـة جديدة ونشر عام ١٦٢٥ م .

وفي عام ١٥١٧م قام « روي غوتسلافزدي كاميرا » بزيارة الى المخا عن طريق البحر .

ثم قام (الاب مونغرات) و (الاب باتز) برحلة وأبحرا سنة ١٥٨٩ باتجاه الحبشـة ليستلما بعثة تبشيرية هناك لكن سفينتهما غرقت عند جزيرة كوريا موريا ، فأسرهما العرب واتهما بالتجسس لصالح الحبشة ، واقتيدا الى سلطان حضرموت وعبرا الـى منطقة تدعى بلقيس حيث شاهدا اطـلال معبد بلقيس ثم تابعا الى صنعاء حيث بقيا هناك خمس سنوات ونصف معستةوعشرين أسيرا برتغاليا . وأخيرا تم اقتيادهما الى المخا . وقد « كانا أول من أشار الى البن » .

وهناك قصة أسير آخر هو « مانوئيل دي آلميدا » سنة ١٦٣٣ حيث أسر وسيق مـن عدن الى لحج .

الا أن قصة « غريغور يود اكوادرا » الذي قذفت الرياح بسفينته الى زيلع عام ١٥٠٩ حيث وقع مع رفاقه في الاسر . وارسل الـى زبيد هدية لملك عدن وتعلم هناك العربية ثم توجه الى لحج بعد أن أطلق سراحه عام ١٥١٦ ، ثم توجه الى العراق (البصرة) ، وبعد ذلك الى الهند فالبرتغال حيث وصلها عام ١٥٢٠ م .

وفي عام ١٥٩٥ م اجتازت اول سفينـة هولندية رأس الرجاء الصالح .

وفي عام ١٦٠٢ تأسست الشركة الهولندية للهنـد الشـرقية وكانـت أول سـفينة أرسلت الى بلاد العرب عام ١٦١٤ م .

وقام الانكليز بتأسيس الشركةالانلكيزية للهند الشرقية وأرسلوا سفينتين لعدن عام ١٦٠٩ م هما (الصعود) و (الرجاءالصالح) .. وقد وصف الوكيل التجاري للسفينتـين « جون جورداين » مدينة عدن . ووصف ميناءي المخا وجدة .وكذلك سافر الى صنعاء وفي طريقه اكتشف زراعة البن وعرف أنها سلعة تجارية عظيمة كانت ترسل الى تركيا والهند والمدينة والقاهرة . وبعد وصـوله لصنعاء عاد عن طريق « تعـز » الى المخا .

ثم تتالت الزيارات الاوربية الاولية .وقد أصدر الاتراك أمرا بالقبض على أي أوربي يأتي عن طريق البحار ، فكان أن ألقـي القبض على الانكليزي « هنري ميدلتن » فور وصوله الى عدن ، واقتيد الى صنعاء مع أربعة وثلاثين من بحارته وأخلي سبيلهم ثم عاد من صنعاء عن طريق ذمار وتعـز والمخا . ثم غادر المخا الى سفينة خفية وقذف المدينة بالمدافع! ثم جاء « بيتر فان دون بروكه » الى عدن وقام بزيارة ودية وكان اول أوربي يتعرض للعواصف الرملية . ثم قام برحلة ثانية وعقد فيها مع حاكم المخا صفقات تجارية وأورد الكثير من تجارة تلك الايام وعن البن وشرابه الاسود !

ثم استدعاه الباشا الى صنعاء برفقة

حراسه واستقبله هناك استقبالا مثيرا ، وبقي مدة أرسل بعدها فان دون بروكه الى شبه الجزيرة العربية وزار المخا ولكن ساءت الاحوال بعد معارك بحرية بين الهولنديين والبرتغاليين ادت الى نقمة العرب على الهولنديين فأسر فان دون بروكه مع صديقه « دي ميلده » وأطلق سراح «فان دون بروكه» ·

وفي عام ١٦٢٨ قام أحد القباطنة الهولنديين بشراء كميات من البن أرسلت الى هولنده ووصلتها عام ١٦٣٣ · كما وصلت بنفس العام شحنة من البن الى بريطانيا ·

وقد قام الفرنسيون أيضا بتأسيس شركة لاستيراد البن وأرسلت رحلتين الاولى بين عامي (١٧٠٨-١٧١٠) م والثانية بن عامي ١٧١١ - ١٧١٣ واهمية الثانية تأتي من الزيارة التي قام بها كل من « آليد دي لاغرولودبير » و « بونديشيري » لزيارة ملك اليمن بقصد تطبيبه من دمامل أصيب بها· وقد قدما وصفا لرحلتهما·

● **ونتيجة هذه الرحلات بدأت الخرائط تصدر عن منطقة الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي والساحل الهندي وذلك اعتبارا من خرائط فرامورد (١٤٦٠) وجوان دي لاكوز (١٥٠٠) حتى عام ١٧٥٥ حين صدرت اول خريطة صحيحة من صنع دانفيل ·**

وأثناء تسرب هذه المعلومات ونشرها في اوربا قامت حركة تهدف الى الاطلاع على مؤلفات الكتاب المسلمين فصدر عن مطبعة ال مديشي سنة ١٥٩٢ مختصر لكتاب جغرافي للادريسي ترجمه راهبان مارونيان الى الفرنسية ونشر في باريس عام ١٦١٩ ·

واصدر (لاروك) اول ترجمة فرنسية لكتاب أبي الفداء « وصف جزيرة العرب » ثم قام المستشرق الفرنسي (دهربلوت) بنشر كتابه « في المكتبة الشرقية » وفيه مقتطفات من ياقوت الحموي وابن خلدون وحاجي خليفة ·

وقد نشطت حركة الدراسات العربية في القرن التاسع عشر ونشرت ترجمة كاملة لمؤلفات الاصطخري والمقدسي وابن بطوطة وغيرهم ·

ثم جاء المستشرق « ايراسم » فأنشأ في جامعة « لوفان » كلية اللغات الثلاث : « اللاتينية واليونانية والعبرية » ·

وجاء ذلك نتيجة الابحاث المنشورة والترجمات والاهتمام بالتوراة والعبرية ومقارنة اللغات مع بعضها وظهور علم اللغات المقارنة ·

ثم قام العالم الايرلندي ادورد بوكوك بتدوين كتابه « نموذج من تاريخ العرب » صدر عام ١٦٥٠ ·

ثم ظهرت الحاجة لاعتماد الوثائق الخطية التي بقيت عن القدماء ، فأخذوا بمراجعة الكتب العربية المخطوطة ومراجعة النقوش المدونة على الاوابد وحلوا طريقة الكتابة الكوفية والكتابة العربية في اوائل عهد الاسلام ·

وفي عام ١٦٦٣ أسست في باريس أكاديمية فرنسية للآداب والخطوط الاثرية ما تزال قائمة في المجمع العلمي الفرنسي حتى يومنا هذا ·

يضاف الى ذلك الاشارات العابرة التي وردت على لسان رواد اليمن وجزيرة العرب عن الاوابد الاثرية ·

كل ذلك دفع العلماء المتخصصين للبحث عن الوثائق في مكانها الاساسي لتحري الحقائق ٠

●● فكانت باكورة البحث العلمي الدقيق لليمن في القرن الثامن عشر نتيجة اقتراح قدم من المستشرق الالماني (فريدريك كريستيان فون هافن) عام ١٧٦٠ الى ملك الدانمرك ، فريدريك الخامس بطلب الكشف عن اسرار اليمن نتيجة للصلة القوية التي تربط اليمن مع العلوم المتعلقة بالكتاب المقدس ٠ وقد اقترن الاقتراح بالموافقة وتألفت بعثة من عدد من العلماء والاختصاصيين هم : المستشرق هافن نفسه وبيترفورسكال العالم الطبيعي والطبيب كريستيان كارل كرامر والرسام جورج فلهلم بورنفيد والملازم كارستن نيبور ٠ وقد أبحرت البعثة من كوبنهاجن على ظهر سفينة حربية دانمركية في ٤-١-١٧٦١ متوجهة★ الى ازمير فاسطنبول فمصر فاليمن ٠ وفي اواخر عام ١٧٦٢ وصلت الى ميناء القنفذة بعد ان قامت خلال الفترة السابقة ببعض الدراسات العلمية اثناء الطريق ٠ وفي ميناء المخا توفي المستشرق هافن ٠ ثم توجهت البعثة من المخا باتجاه صنعاء ٠ وقد لاقت البعثة الكثير من المشقة اثناء تنفيذ مهامها مما ادى الى وفاة العالم الطبيعي فورسكال في مدينة يريم ٠

عند وصول البعثة الى صنعاء استقبلها الامام بحفاوة وترحاب فأقامت هناك لفترة قصيرة ثم عادت الى المخا ومنها ابحرت الى بومباي وفي الطريق توفي الرسام بورنفيد ثم مات بعد يوم واحد الرجل السادس في الرحلة واسمه برجن وكان يعمل مرافقاً وطاهياً للبعثة ٠ وكما يقول نيبور قذف بكلا الجسدين الى البحر وبعد الوصول الى بومباي توفي الطبيب كرامر عام ١٧٦٤ ٠

وقد بقي من البعثة المنكوبة الضابط نيبور (١٧٣٣-١٨١٥) وهو من مواليد ألمانيا وتربى فيها ٠ وقد بقي نيبور في اليمن لمدة ثمانية أشهر ٠

وتابع نيبور رحلته المقررة فزار أطلال آشور وفارس ثم رحل الى البصرة وبغداد والموصل وحلب وقبرص والاناضول والقسطنطينية محملا بالنقوش والخرائط والكتابات والرسوم ٠ وقد نشر كتابا عن رحلته « وصف بلاد العرب » وماكتبه عن اليمن يعتبر من أهم مصادر تاريخ اليمن٠

وقد صدر كتابه في جزأين ، صدر الجزء الثاني بعد وفاة نيبور ٠ وقد استمرت أسفار نيبور بنجاح ويذكر بأنه عاد الى كوبنهاجن عام ١٧٦٧ في شهر تشرين الثاني ٠ولم يعتبر وفاة أعضاء البعثة نتيجة فاجعة ٠ فلقد فسر نيبور بقوله « ان الاجهاد الذي سبب الموت لرفاقه كان ناتجا عن تسرعهم المفرط في رؤية البلاد دون ان تردعهم الحرارة المحرقة عن ذلك فتعرضوا لتعب مضن ٠ أضف الى ذلك انهم لم يعتقدوا أن من الواجب عليهم اقتباس نمط المعيشة اليمنية » ٠

« لذلك فان نيبور كان يسافر راكبا حمارا كمسافر عادي ومزينا بالزي التركي من عمامة الى رداء بدون اكمام فوق قميص من الكتان ٠ وكان يستخدم بساطا صغيرا كبردعة لحماره وسفرة لطعامه وفراشا لنومه ويحمل معطفا يتغطى به ليلا ، وقربة ماء وآلات

★ انظر تفصيل هذه الرحلة الهامة في كتاب ثوركيل هانسن (من كوبنهاجن الى صنعاء).

للقياس كالبوصلة والساعة وربع الدائرة الخاص بعلم الفلك وبعض الكتب » ٠

وكان يسأل كل انسان ويعتقد ان كل انسان يمكن ان يخدمه بجواب يفيده فهو يسأل الفقيه ٠ عن الشريعة الاسلامية والمواطن عن المناطق والفلاح عن الزراعة ٠٠ وهكذا ٠

وقد اهتم نيبور بنقل الكتابات على الحجارة التي شاهدها وعن النقود ٠ ولم يعثر على كتابات حميرية بل أخبروه بأنها موجودة في قفاز وغيرها ٠

وقد استطاع نيبور ان يجيب على كل الاسئلة التي كلفه بها ملك الدانمرك والذي طلب من العلماء الاجانب الاوربيين ان يضيفوا اليها اسئلتهم لتكلف البعثة بالاجابة عليها ففعلوا وكان ابرز الاسئلة كما يقول نيبور قد وردت من الجمعية الملكية الفرنسية للآداب والخطوط الاثرية ٠

وكان من تأثير بعثة نيبور ان نابليون عند مهاجمته مصر شكل بعثة علمية مماثلة في عام ١٨١٠ ٠

وفي هذا العام سافر الدكتور اورليخ غاسبار ستيزن الى اليمن مبتدئا رحلته من الحديدة متتبعا اشارات نيبور ٠ وقد استطاع الحصول على نقوش قديمة مهمة نسخها من موقع قريب من المدينة الحميرية « ذمار » ٠

ثم زار عدن ووصل المخا وهناك اعتقد السكان أنه ساحر لما كان يحمله من ثعابين وحشرات سامة محنطة في الكحول تمهيدا لدراستها ٠ وبعد ان جهز رحلة لداخل اليمن غادر المخا مع قافلته المحملة ٠ وقد اختفى ولم يظهر له أثر ٠ وقد قيل انه قتل من قبل بعض القبائل البدوية وقيل ان الامام أمر بدس السم له في طعامه فمات مسموما في تعز في كانون الاول (ديسمبر) من سنة ١٨١١ ٠ وكان الدكتور ستيزن قد أرسل قبل اختفائه خمسة من النقوش غير الواضحة عن طريق المخا ٠

وفي عام ١٨٣٤ استطاع الضابط البحري الانجليزي (ولستد) ان يعثر على الحصن المعروف حاليا بحصن الغراب في بلدة (بير علي) على الشاطىء ٠ وقد وجد به نقشان أحدهما يتكون من عشرة أسطر ، ويرجع تاريخه الى عام ٦٤٠ من التقويم الحميري حوالي ٥٢٥ ميلادي ويعتبر أول نقش طويل وكامل يعثر عليه ٠

وفي العام التالي ١٨٣٥ عثر ولستد على خرائب موقع « نقب البحر » غربي وادي ميفعة ٠

وتعتبر النقوش التي وجدها ولستد في (حصن الغراب) مهمة جدا اذ فتحت الباب لمعرفة سر الخط المسند ٠

كذلك اكتشف خرائط متقنة الصنع لوّنت رسومها باللون الاحمر ٠

وحينما أحضر ولستد النقوش لم يكن أحد يعرف معناها بل كانت نقوشا وأحرفا ميتة الا أن ولستد افترض ان النقوش التي أخذها من خرائب قلعة حصينة عظيمة ستعطي تاريخ انشاء القلعة وسببه ومن قام بهذا الانشاء ٠

وكان ولستد على حق في كل ماذهب اليه٠

وقد قام فورستر بتحليل النص الذي افترض انه نص قصيدة النويري (١٢٧٩–

١٣٣٢) والتي تبدأ بكلمة سكنا • ثم قام بتقسيم الكلمات ومقارنتها • وبعد عمل مضن استطاع حل رموز الكتابة الحميرية•

وفي عام ١٨٣٥ قام شابان فرنسيان وهما (تاميزيه) و (ادوارد كومب) بزيارة لليمن في معرض زيارتهما للحبشة • فذهبا من جدة الى القنفذة بطريق البحر فوصلا اليها في ٢١-٦-١٨٣٥ وشاهدا هناك ابراهيم باشا ينفذ الحكم بالاعدام على الخازوق بأحد الفلاحين •

ثم قصدا جيزان بطريق البحر ثم الى اللحيه والحديدة وبيت الفقيه وزبيد ، حتى المخا ثم بلغا جيزان •

وقدما وصفا جميلا للمناطق التي زاراها ووصفا طرق المواصلات •

ثم قام (روشيه دي هيريكور) برحلتين الى اليمن زار جدة والحديدة التي التهمها حريق هائل ، ثم شاهد المخا وعاد بنتائج أعماله الى الجمعية العلمية •

وفي عام ١٨٣٦ قام السائحان (هلتن) و (سميث) برحلة الى اليمن كشفا خلالها عن خمسة عشر نقشا على الحجارة في منطقة عمان •

ثم قام (هلتن) و (كروتندن) وقد تزيا بزي محلي رافقهما تاجرعجمي برحلة الى صنعاء • وقدوصفا حالةالقحط والمجاعة التي كانت في ذلك الوقت ، وقد وصفا منظر الجثث في الشوارع وقد ماتاصحابها نتيجة الجوع • وقد فرض الامام عليهما الاقامة الجبرية في منزلهما•

ثم مرض (كروتندن) وكان مرضه مزعجا جدا لهلتن الذي كشف عن نقوش كثيرة في صنعاء وعثر على رأس تمثال من مأرب أرسله الى المتحف البريطاني ، وبعد ان تحسن كروتندن قليلا وقد مضى علىمرضه ثلاثة اسابيع استطاع بصعوبة مرافقة هلتن في هودج حمله اثنا عشر رجلا • ثم اتجها الى الساحل • وبعد ركوبهما مركبا متجها الى الشمال الغربي توفي كروتندن من نتيجة المرض والاجهاد داخل المركب•

وفي عام ١٨٤٣ جاء «فون فريده» برحلة الى حضرموت وشاهد نقشا مكونا من خمسة أسطر من موقع « اوبنه » أو « البنا » شمال قنا والساحل •

أما الرحالة الصيدلي الفرنسي جوزيف أرنو الذي علم من السكان ان عالما اوربيا نسخ قبله نقوشا وقطعا أثرية وإنمخلفاته متداولة بين الناس وعرف ان العالم هو (ستيزن) ، فقام برحلة من صنعاء الى مأرب بصفة طبيب عند الاتراك ، وقد رافق قافلة متجهة الى مأرب بعد ان دفع لرئيسها مبلغا كبيرا من المال لقاء حمايته « وهو أسلوب قديم متبع في كافة البقاع العربية والصحارى العربية سواء في اليمن ام في السعودية أم في سوريا » • وقد استطاع ان يستحصل على اذن خاص من أمير المدينة يسمح له بالتجول في خرائبها التي ارتبطت في أذهان الناس بالاساطير وقصص الجن •

وقد استطاع أرنو ان يزور موقع سد مأرب وان يرسم له مخططا وينسخ بعض النقوش هناك ويتفحص الخرائب ويزور معبد (المقه) والمسمى باسم « حرم بلقيس » الا ان فضول السكان وملاحقاتهم

له جعلت اقامته في مأرب مستحيلة مما حمله على العودة الى صنعاء مع قافلة بعد أن أقام في مأرب ثلاثة ايام فقط ٠

واثناء عودته مرت القافلة بمكان فيه خرائب كثيرة فتسلل تحت جنح الظلام الى هذه الخرائب واستطاع ان ينسخ بعض النقوش التي تتحدث عن « صرواح » العاصمة السبئية الاولى٠

وقد بلغ مجموع النقوش التي استنسخها آرنو ستة وخمسين نقشا وتابع آرنو سفره من صنعاء الىشاطىء تهامةوكانت منأشق الرحلات التي قاسى خلالها أهوالا كثيرة ٠

وقد أرسل وصفا للرحلة والنقوش التي استنسخها الى القنصل الفرنسي في جدة فأرسلها القنصل بدوره مع بعض الشروح والتعليقات الى المجلة الاسيوية التينشرتها عام ١٨٤٥ فأحدثت ضجة كبيرة في الاوساط العلمية ٠

وكان قد رافق أرنو في بعض أجزاء من رحلته « فايسير » والقنصل الفرنسي « فريسنل » ٠

وقد زار المنطقة أيضا الكاتب ألكسندر دوماس ، وكان محبا للعرب واصدر ثلاثة كتب عنهم ٠

وقد قام (البارون ادولف فون وريد) الذي قابل آرنو في عدن ٠ وكان من اصل بافاري ودخل سلك الجندية بخدمة الملك « اوتون » في اليونان واقام في آسياالصغرى ثم في مصر وقد ارتدى زي مسلم وتظاهر برغبته في الحج الى قبر هود في حضرموت٠ وقد نزل في ميناء عدن٠٠ وتوجه برا الى المكلا ثم اتجه في ٢٦-٦-١٨٤٣ نحو داخل البلاد بحماية بدوي يدعى (عقيبره) ٠ ولكنه لم يستطع ان يصل الى قبر النبي هود بسبب اجبار البدو له على الرجوع ٠ لكنه في مكان يدعى « ابن » او « لبن » عثر على جدار قديم ونسخ منه كتابة اثرية طويلة رائعة ٠ ثم زار (وادي عمد) حتى وصل الى الحوطة ثم توجه الى «صوى» حيثذكر انه وجد قبرا حميريا هناك لكن طمست كتاباته ٠ وكاد ان يقتل لولا تدخل حاميه البدوي وانقاذه له ، وعاد ثانية من خرائب مقبرة النبي هود باتجاه المكلا ثم سافر الى عدن ٠

وقد احتفظ (فون وريد) بقائمة بأسماء الملوك الحميريين أعطاه اياه شيخ عالمولكن روايته لم تصدق في فرنسا الا ان هناك الكثيرين تحمسوا للقضية٠

وأخيرا قام في عام ١٩٣١ الاستاذ (هرفون ديسمن) والدبلوماسي (د٠ فان مولن) ببعثة الى حضرموت بنفس الطريق التي وصفها (وريد) وقد تأكدا من صحة معظم معلوماته ٠

ونتيجة للتطاحن بين الانكليز والفرنسيين حول كشف آثار اليمن فقد قررت اكاديمية النقوش والفنون الجميلة الفرنسية ارسال المستشرق الشهير - واليهودي عقيدة - يوسف هاليفي عام ١٨٦٩ ٠

وصل هاليفي الى اليمن عام ١٨٧٠ وتزيا بزي اليهود المحليين الفقراء وادعى انه حضر من القدس وقد استفاد من المعاملة الحسنة التي كان يعامل بها عرب اليمن اليهود في بلادهم ٠

بدأت اعمال هاليفي عام ١٨٧٠ فأخذ

يتنقل في الاماكن التي كان مستحيلا على غيره أن يصلها فذهب من صنعاء الى الجوف الى نجران ثم اتجه الى سد مأرب وصرواح. ثم عاد الى صنعاء حاملا معه ٦٨٦ نقشا جمعها من ٣٧ مكانا مختلفا وقدكانت جميعها جيدة باستثناء خمسة عشر نقشا كان قد سبقه لاستنساخها آخرون.

وقد نشرها في فرنسا عام ١٨٧٢ مع تقرير مفصل عن رحلته أتبعها بدراسات حول لغة النقوش ٠

وتعتبر رحلة هاليفي من أهم الرحلات العلمية لانه أماط اللثام عن الكثير من حضارة المنطقة ٠ وعن لغاتها من حميرية وسبأية ومعينية ٠

وقد استعان هاليفي بيهودي يمني يعمل نحاسا واسمه حبشوش وقد ساعده في نسخ بعض النقوش ٠

ومابين عامي (١٨٧٠-١٨٧١) قام ملتزن بدراسة اللهجة «المهرية» ٠

وقد قام أيضا المستشرق النمساوي سيغفريد لانفر عام ١٨٨٠ برحلته الى سورية ومنها الى القنفذة بحرا ثم جدة ، الحديدة ومنها الى صنعاء « عبر بلاد الحميريين القدماء حيث الخرائب التي وصفها نيبور » ٠

وقد قام بنسخ بعض النقوش ودون بعض الملاحظات والاوصاف ٠

وعندما أراد أن يتوغل الى الداخل منعته السلطات التركية فذهب الى عدن وتنكر بزي بدوي وتوغل الى الداخل ونسخ بعض النقوش ٠

لكن دليله ولاسباب مجهولة اغتاله بينما كان يسبح في نهر ٠ الا أن لانفر كان قد أرسل بعض النقوش المستنسخة الى المؤسسات العلمية الغربية التي قامت بنشرها بعد وفاته ٠

وفي عام ١٨٨٠ وبناء على طلب الاكاديمية الفرنسية قام المستشرق النمساوي ادوار غلاسر استاذ اللغة العربية «بفيينا» برحلة الى تونس ومصر ليتمكن من اللغة العربية وليتعرف على العادات العربية استعدادا لرحلته الى اليمن ٠ وبعد انتهاء استعداداته وصل الى صنعاء لكن الاتراك منعوه من مغادرتها بحجة الخوف عليه من ان يكون مصيره كمصير (لانفر) ٠ وبعد جهد استطاع غلاسر ان يقنع السلطات التركية بالسماح له بتنفيذ مهمته وقد قام غلاسر بخمس رحلات داخل اليمن ٠

الرحلة الاولى :

قام بها برفقة حملة تركية جهزت لاخضاع مدينة سودة والقبائل الموجودة فيها وقد استطاع غلاسر خلالها ان يتعرف على بعض المناطق ويشاهد بعض الآثار ٠

الرحلة الثانية :

وقد قام بها مع بعض اليمنيين الى مناطق شبام وكوكبان ورهجة وعمران وهي مواقع قريبة من همدان ٠

وقد نسخ بعض النقوش وزار بعض المواقع الاثرية حيث تعرف على معالمها التاريخية ٠

الرحلة الثالثة :

وقد قام بها عام ١٨٨٤ وقد زار بها حاشد وكاد ان يموت فيها ٠

كان من نتائج رحلاته الثلاث السابقة والتي ارسلها الى الاكاديمية الفرنسية التي قامت بنشرها، ومن هذه النتائج كانت أربع احجار بها نقوش سبأية وحوالي مائتين وثمانين نسخة لنقوش شاهدها ، كما أرسل ملاحظاه طبوغرافية وفلكية وعرقية عن المنطقة .

الرحلة الرابعة :

وقد قام بها عام ١٨٨٥ لصالح المتحف البريطاني وزار فيها المناطق الواقعة بين عدن وصنعاء مارا بظفار عاصمة الحميريين القديمة وقد حصل على ٣٧ نقشا أصليا معظمها من منطقة الجوف وباللغة المعينية. كما حصل على مايقرب من مائة وخمسين نسخة عن نقوش يمنية مختلفة .

الرحلة الخامسة :

والتي تمت مابين عامي ١٨٨٧-١٨٨٨ وكانت هذه المرة لصالح اكاديمية (براغ) لزيارة مأرب عاصمة سبأ .

وقد غادر صنعاء برفقة يمنيين وفيهم أحد أشراف اليمن وقد تزيا غلاسر بزي فقيه عربي . واستطاع ان يبقى في مأرب مدة ستة اسابيع زار خلالها السد وأقنيته ومعبد (اله القمر) وقام بوضع مخططات لها وقام بنسخ نقوشها وكانت نتيجة رحلته حصوله على اربعين نقشا سبئيا أصيلا وقطعا أثرية اضافة الى نقود وخواتم . وكذلك نسخ مايقارب الاربعمائة نقش .

في عام ١٨٩٢ عاد غلاسر الى اليمن . ولما كانت الاوضاع السياسية متردية في اليمن نتيجة ثورات القبائل على السلطات العثمانية ومحاصرة صنعاء من قبل القبائل الثائرة عمد غلاسر الى طريقة جديدة اذ قام بتعليم بعض رجال القبائل طريقة نسخ النقوش على الورق (الخاص) وقام بارسالهم الى المواقع المختلفة ودفع اجورا مغرية . وقد نجحت تجربته هذه لان رجال القبائل استطاعوا أن يصلوا لمناطق لم يستطع أي أجنبي الوصول اليها .

فحصل على مجموعة كبيرة من النقوش من الجوف وحصل على نقش صرواح العظيم الذي يحتوي على ألف كلمة ويعود تاريخه الى أقدم عصور الدولة السبأية وقد اشتهر هذا النقش فيما بعد باسم «نقش النصر».

كذلك حصل غلاسر على مائة نقش تعود للدولة العثمانية وهي نقوش فريدة. وتعتبر أولى الوثائق التي تتحدث عن دولة قتبان وتتضمن معلومات سياسية وثقافية ودينية.

وتعتبر رحلات غلاسر من أهم الرحلات التي نجحت من الناحية العلمية في الكشف عن الحضارة اليمنية القديمة وقد فتحت الافاق الواسعة للعلماء والمؤرخين ورجال الاثار فيما بعد .

وقام الاستاذ مولر (دافيد هنريخ) المستشرق النمساوي ببعثة الى اليمن تابعة لاكاديمية فيينا عام ١٨٩٨ وقد استهدفت الوصول الى شبوه . ولكنها فشلت في ذلك فتوجهت عام ١٨٩٩ الى سقطره لدراسة اللهجات الحديثة هناك وقد أصدر مولر كتابا بعنوان « جغرافية جزيرة العرب » .

ومابين عامي ١٨٩٩-١٩٠٠ قام الزوجان

البريطانيان تيودور ومابل بنت فقدما دراسة اثرية عن ساحل آسيا الصغرى وجزر البحرين والحبشة وشبه الجزيرة العربية وقدما خارطة لاقليم حضرموت ·

وقام الرحالة الالماني برخردت برحلة الى اليمن صور خلالها آثارا كثيرة وذلك ما بين عامي ١٩٠٦–١٩٠٧ ·

وفي عام ١٩٣٢ وتحت رعاية ولي العهد قام راتينس وفون فيسمن باجراء حفريات اثرية في منطقة صغيرة من اليمن ·

وفي عام ١٩٣٦ قامت جامعة فؤاد الاول (القاهرة حاليا) بارسال بعثة الى اليمن كان من بين أعضائها الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى نامي ·

وقد أصدر الاخير كتابا عن اللهجات اليمنية الحديثة ، جامعة كلية الاداب عام ١٩٤٦ ·

– في عام ١٩٣٦ قام نزيه مؤيد العظم برحلة الى اليمن الشمالي وقد وصف رحلته في كتابه « رحلة في البلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء » نشره الحلبي في القاهرة سنة ١٩٣٠ م ·

كذلك نشر كتابا آخر عام ١٩٣٩ من ٤٠٠ صفحة واسمه « سبأ ومأرب » طبع في القاهرة ·

– كما قامت الدكتورة كاندت تومسون بمساعدة اليانور جاردنر في شتاء ١٩٣٧ – ١٩٣٨ فلقد قامتا بحفريات منتظمة في حديقة بوادي عمد (حضرموت) ·

– وقام الضابط الانكليزي هاملتون (لورد بلهافن فيما بعد) بتنقيب جزئي قرب الباب الشمالي لمدينة شبوه ·

– ثم قام محمد توفيق عام ١٩٤٥ بزيارة للجوف · وقد اصدر كتابا باسم « آثار معين في جوف اليمن » نشره معهد الدراسات الفرنسي في القاهرة سنة ١٩٥١ ·

– وقام الدكتور احمد فخري بزيارة لصرواح ومأرب في العامين ١٩٤٧ و ١٩٤٨ وقد اصدر كتابا باسم آثار العالم العربي متضمنا فصلا عن اليمن ·

وكتاب « دراسات في تاريخ الشرق القديم » مصر – العراق – سوريا – اليمن – ايران » وكتاب « اليمن ماضيها وحاضرها » أصدره عام ١٩٥٧ ·

وفي عام ١٩٥٢ ارسلت جامعة الدول العربية الى اليمن بعثة اثرية ·

– ثم جاءت بعثة وندل فيلبس ١٩٥٢ « المؤسسة الامريكية لدراسة الانسان » · وهي بعثة أمريكية ضمت بين أعضائها علماء متخصصين قاموا بالتنقيب في مأرب لكن البعثة اختلفت مع الامام آنذاك ثم تحولت نتيجة الخلاف الى بيحان حيث نقبت عن أجزاء من مدينة تمنع عاصمة قتبان القديمة ·

ثم انتقلت الى ظفار التابعة حاليا لسلطنة مسقط حيث أجرت عدة حفريات وقد اصدر وندل فيلبس كتاب « كنوز مدينة بلقيس » ترجمة الاستاذ عمر الديراوي ونشره عام ١٩٦١ ·

وله كتاب ايضا « عمان المجهولة » ·

– وبين عامي ١٩٦١–١٩٦٢ قامت بعثة معهد شمشونيان الامريكية واجرت مسحا

أثريا سطحيا لوادي حضرموت برئاسة الدكتور فان بيك ٠

ويحدثنا وندل فيلبس في كتابه « عمان المجهولة » عن البعثات الامريكية المذكورة وانها تابعت خطى التاجر القديم المجهول صاحب البريبلوس وان نتائج الحفريات قد جاءت مصدقة لوصفه الدقيق ٠

– وأخذت اليمن الحديثة تتابع آثار المنطقة وقد ساهم الاتحاد السوفياتي ببعثة عام ١٩٧٢ وفقا لخطة التعاون الثقافي والعلمي بين اتحاد الجمهوريات السوفييتية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قامت بدراسة آثار المنطقة وقدم بعدها سيرجي شيرنسكي تقريرا عن مهمته ٠

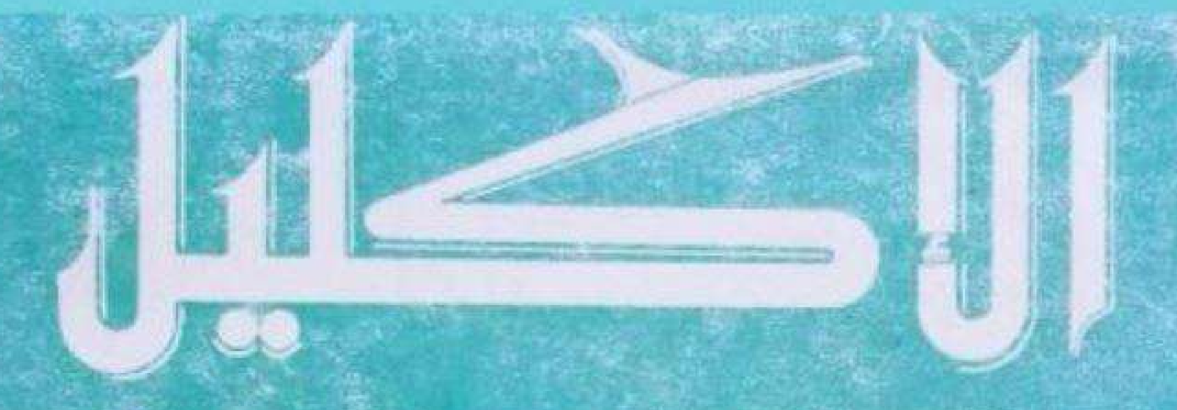
– ورغم كل ماذكر وكل الجهود المبذولة فما زال هناك الكثير الكثير مما يجب بحثه والتنقيب عنه لنجيب على العديد من الاسئلة والمعضلات التاريخية المطروحة وبالتالي لنكشف عن حضارة عربية عريقة ٠

● وبعد هذا العرض الذي حاولنا ان يكون موجزا وفي نفس الوقت محيطا بتطور رحلات اكتشاف الحضارة اليمنية ٠٠ ينهض سؤال هام وهو : ماهي نتائج دراسة الوثائق اليمنية ؟ وهذا ٠٠ مبحث آخر وهام ٠٠

---

١ – اضواء على الاثار اليمنية : تقرير للعالم سيرجي شيرنسكي .
المركز اليمني للابحاث الثقافية – عدن
٢ – المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام – د. جواد علي – .
٣ – مقالات عن رواد اليمن ، في مجلة الزهراء القاهرية – المجلد الثالث .
٤ – اكتشاف جزيرة العرب : جاكلين بيرين – ترجمة قدري قلعجي .
٥ – محاضرات في تاريخ العرب والاسلام (الجاهلية وصدر الاسلام) د. نبيه العاقل .
٦ – مراجع تاريخ اليمن : عبد الله محمد الحبشي .
٧ – تاريخ اليمن القديم : محمد عبد القادر بافقيه .
٨ – الموسوعة العربية الميسرة : اصدار القاهرة ، ط٢ .
٩ – قاموس المنجد : قسم الاعلام .
١٠ – موسوعة « امريكانا » الامريكية.





مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري . تصدرها وزارة الإعلام والثقافة . صنعاء

العدد الأول السنة الثانية / صيف ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

العرب والقبائل العربية في سورية قبل الإسلام

أحمد غسان شبانو

المقدمة

أولا :

يمتد عالمنا العربي من المحيط الاطلسي غربا الى الخليج العربي شرقا ، ومن طوروس شمالا الى المحيط الهندي وأواسط افريقيا جنوبا ٠

هذه الرقعة الكبرى من العالم تشكل وحدة قديمة ازلية يقطنها شعب واحد احتفظ باستمراريته الحضارية منذ نشأ الانسان على سطح كوكبنا والى الان ٠

هذا العالم العريق في الحضارة كان مهدا للسامية (اذا اتبعنا هذا التقسيم) ، وكان أيضا مهدا للعروبة التي هي من سلالة السامية ٠

وقبل أن نخوض في غمار بحثنا المتعلق بتوزع القبائل العربية في سوريا قبل الفتح الاسلامي ، لابد لنا من ايراد فكرة عن الهجرات السامية التي وجدت قبل أن تعرف كلمة (عرب) و (عربي) ٠

فالسامي كلمة تطلق على أحفاد سام ابن نوح في الترتيب الذي أوجدته التوراة لابناء نوح وسام وحام ويافث ٠

ان هذه التسمية التي أوجدها اليهود لتخدم أغراضهم في بتر أصلنا المشترك كعرب وأبناءبلد واحد ٠ ولتخدم اليهود وتفصم عرى استراتيجيتنا الحضارية ٠

ومهما كانت التسمية فان المهم في الامر الواقع بغض النظر عن التسمية ، فنحن أبناء شعب واحد نشأ في داخل عالمنا (العربي) ونحن مزيج من بطونه وقبائله

وأنسابه ، وتراثنا واحد مهما أطلق عليه اليهود ومن تابعهم من المستشرقين أصحاب الاغراض الخاصة ٠

لذلك لايهمنا في بحثنا تعريف السامية 'و منشأها أو تعداد الشعوب والحضارات لتي قامت منتسبة اليها ، لايهمنا أساس موقعها ومنبتها،ففي ذلك يتنافس العلماء من حياديين ومغرضين ٠ الا ان من الثابت ان أساس شعبنا هو شبه الجزيرة العربية بمعناها الواسع من اليمن جنوبا وحتى الهلال الخصيب شمالا ٠

ومن هذه المنطقة انطلق أجدادنا الاوائل نحو مختلف بقاع عالمنا العربي مشكلين وحدة متماسكة حينا ، متفرقة أحيانا الا أن سماتها مشتركة وأصلها واحد ٠

ثانيا :

أسباب الهجرة ودواعيها :

ان تشكل عالمنا العربي كان بسبب الهجرة ،وان فهم أسباب الهجرة واتجاهاتها يفسر لنا كيفية نشوء عالمنا العربي ويفسر تحديد جغرافيته وحدوده ٠

فأساس ومنشأ عالمنا العربي صحارى شبه الجزيرة العربية ذاك البحر من الرمال الذي يقع ضمن بحار من المياه وبين البحرين تقع مواطن الاستقرار ٠

فكما ان مسافر البحر يتحدث دوما عن اليابسة فان مسافر الصحراء يبحث دائما عن الواحة والخصب ٠ فالاول نجاته باليابسة والاخر نجاته وحياته واستقراره في المنطقة الخصبة حيث الماء والخضرة ٠

وأسباب الهجرة ودواعيها ماتزال بنفس الصورة التي كانت عليها منذ آلاف السنين٠ أقوام بدوية تعيش مرتحلة في الصحارى ، تسكن الخيام ، لاتلبث أن تعاف هذه الحياة لقلة الماء وشظف العيش ٠ فتبحث عن شط السلامة وهي نقاط الماء والخضرة حيث نبدأ أولا في السكن المؤقتة بخيامها ودوابها ثم تتحول تدريجيا الى اقامة دائمة وتحضر فتقيم المدن التي تتسع مع الايام وبازدياد اعداد البدو المتحضرة والوافدين لتلك المنطقة لاتلبث أن تشكل دولة ٠

وان قيام الدول في منطقتنا يؤكد صحة مانقوله، فالمدن التي شكلت دولا في تاريخنا انما تقع على ضفاف الصحراء سواء في الجنوب أو في الشمال ، في الشرق أو في الغرب ٠ وفي نطاق بحثنا (سورية) فان أشهر المدن التي تقع على حدود بادية الشام هي بطرة (البتراء) وبيت المقدس، ودمشق وحمص ، وانطاكية ، وتدمر ، وبابل ، والحيرة(١) ٠

ثم نتيجة ازدياد سكان هذه الدول عن طريق الهجرات الجديدة وبتأثير البدو المتحضرين الوافدين الى الغرب ٠

وهذا ما أطلق عليه بعض المستشرقين اسم (نداء المتوسط) ٠

ثالثا : فكرة عن الهجرات القديمة في بلاد العرب :

سكن الانسان شبه الجزيرة العربية منذ أوائل فترة ظهور الانسان على سطح الارض وسبب ذلك هو مناخ منطقتنا الموافق للسكن بالمقارنة مع المناطق الاخرى كاوروبا وباقي المناطق في العالم ٠

وبما ان الهجرة من الصحراء العربية (شبه الجزيرة العربية) كانت مستمرة شمالا لسوريا والعراق وجنوبا لليمن وغربا لمصر منذ التاريخ السحيق في القدم الا ان الوثائق والآثار المكتوبة أو المبنية تدل على ان الهجرات الكبرى التي تمت للشمال كانت كما يلي وقد سميت تلك الهجرات بالموجات :

١ ـ الموجة الاولى :

وتمت الى العراق حوالي سنة ٣٦٠٠ ق٠م وبحسب العلامة (سايس) الانكليزي ، فقد كانت قبيلة سميت باسم زعيمها ؛ وهي قبيلة كلده ، التي كانت مؤسسة الدولة الكلدانية(٢) ٠ كما وانه تمت في نفس الوقت هجرة مماثلة الى مصر ٠

ويشير الدكتور أسد الأشقر الى انه ليس من قبيل المصادفة ان تقوم موجتان من شبه الجزيرة العربية احداها الى مصر والاخرى الى العراق وسوريا(٣) ٠

٢ ـ الموجة الثانية :

هي الموجة العمورية ، وقد تمت حوالي عام ٢٥٠٠ ق٠م٠

« وقد توزعت في جنوب وادي الرافدين وأواسطه أي في المنطقة السومرية ـ الاكادية وفي شمال غربي الهلال الخصيب كما اندفعت أجزاء منها واستوطنت المرتفعات المشرفة على فلسطين ٠ وكان من بين العناصر التي تألفت منها هذه الموجة الجديدة الكنعانيون وقد حلوا غربي الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ ق٠م ، والساحليون الذين سماهم الأغارقة الفينيقيين »(٤) ٠

وقد ذكر هيرودت (٤٥٠ ق٠م) ان أصلهم عرب اذ قال « والفينيقيون كانوا يسكنون سابقا سواحل بحر اريتريا (البحر الاحمر) كما يقولون هم أنفسهم لكنهم اجتازوا من هناك الى سواحل سورية وقطنوها »(٥) ٠

ويذكر في الزهراء نصوص أخرى تؤكد ذلك اضافة لوحدة الاله (عشتيروت) وأسماء المدن الموجودة في سواحل البحرين وسواحل الشام مثل أرواد وصور(٦) ٠

٣ ـ الموجة الثالثة :

الآراميون حوالي ١٦٠٠ ـ ١٤٠٠ ق٠م ٠ وقد اندفعت نحو مصر والعراق والى مناطق سوريا المجوفة(٧) ٠

٤ ـ المجموعة الرابعة :

الهجرات الاسماعيلية سنة ٦٠٠ ق٠م ٠ وفيها هاجر من مناطق مكة اثر القحط الذي أصابها هاجر العمالقة نحو اليمن كما هاجر بعض أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ، نحو الشمال وهم (بنويطور)

وسكنوا في الديار الشامية (مملكة يطور المذكورة في التوراة جنوبي دمشق اقليم الجادور) وبنو نابت (في التوراة بنايوت) سكنوا خليج ايلة (العقبة) وبنو نايت هؤلاء هم النبط أوالانباط (المستنبط مننابت)(٨)

٥ ـ الموجة الخامسة :

والتي هي موضوع بحثنا الذي سندرسه تفصيلا ٠

٦ ـ الموجة الاخيرة :

وهي الموجة العربية الاسلامية الكبرى والتي مانزال (ببعض المعاني) نعيشها ٠

رابعا : العربوأصلهموأصل تسميتهم:

وبما ان بحثنا يتعلق بالقبائل العربية التي سكنت الشام قبيل الاسلام فانه من الواجب علينا أن نتحدث بلمحة قصيرة عن العرب وأصلهم وأصل تسميتهم ٠

ـ فالعرب (كلفظة) « هي بمعنى التبدي والاعرابية في كل اللغات السامية ، ولمتكن تفهم الا بهذا المعنى في أقدم النصوص التاريخية التي وصلت الينا وهي النصوص الاشورية(٩) ٠ وقد عنيت بها البدو عامة ، مهما كان سيدهم أو رئيسهم وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم(١٠) ، ولما توسعت مدارك الاعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب ، توسعوا في استعمال اللفظة ، حتى صارت تشملأكثر العرب على اعتبار انهم أهل بادية وان حياتهم حياة أعراب،ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم فصارت علمية عند أولئك الاعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها وأطلق لذلك كتبة اللاتين واليونان(١١) على بلاد العرب لفظ (Arabia) أي (العربية) بمعنى « بلاد العرب »(١٢) ٠

أما النظرية العربية من أن أصل العرب يعود الى يعرب فانها تمثل وجهة نظر القحطانيين لاثبات عروبتهم وتفوقهم على العدنانيين ولكن لايوجد ما يثبت نظريتهم من الشواهد الاثرية أوالوثائق الكتابية(١٣)٠

والنص الوحيد الذي أعطى كلمة عرب على العرب جميعا من بدو وحضر هو القرآن الكريم ومن استقراء ما وردت فيه هذه الكلمة يتبين وجود حس قومي وتخصيص لغوي سابق للقرآن الكريم(١٤) ٠

ولقد درج علماء العربية على تقسيم العرب الى عرب بائدة ومنهم عاد وثمود ومعظمهم العرب البائدة التي سكنت في الشمال بالنسبة لشبه الجزيرة العربية ثم العرب الباقية ، ولهم دوران الاول : سادت فيه قبائل الجنوب من القحطانيين ، والدور الثاني ، وفيه عاد النفوذ لقبائل الشمال من العدنانيين وينتهي دورهم بالاسلام ٠

خامسا : الهجرات العربية الى سورية :

تعود الهجرات العربية كما قدمنا الى الموجة الرابعة حوالي سنة ٦٠٠ ق٠م وهي تعتبر من العرب البائدة وأهم الدول التي أسسوها دولتان الاولى النبط التي ذكرناها

والثانية التدمريون الذين أقاموا في تدمر وكلا الدولتين استخدم اللغة الآرامية في مكاتباتها الرسمية وحضارتيهما وماتزال اثارهما حتى الآن في بطرا والكرك وتدمر ٠

الا انه لابد من ذكر دولة قضاعة التي تعود لهذه الفترة وهي محدودة بالزمن والمساحة وثابتة النسب للعروبة ، وكانت في منطقة جنوب دمشق واليها ينسب آل تنوخ وآل سليح ٠

أما في الموجة الخامسة وهي عربية (بالمعنى الذي حددنا فيه كلمة عرب) فانها قد تمت بعد حضارتي النبط (الانباط) والتدمريين ٠ وهما الغساسنة في سورية والمناذرة في العراق وهما آخر دول العرب قبل الاسلام في شمال شبه الجزيرة العربية(١٥)

والغساسنة من القحطانيين ، وينتهي نسبهم الى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم أبناء عمرو بن عامر (مزيقيا) الملقب (بماء السماء) الذين جاؤوا الى الشام اثر تهدم سد مأرب في القرن الاول للميلاد بينما جاء اللخميون ملوك الحيرة العراق (المناذرة)(١٦) ٠

وقد زعم الاخباريون ان اسم غسان انما جاء من ماء يقال له غسان ببلاد (عك) بزبيد وربيع نزل عليه آل غسان وأصلهم من الازد ، ولما أقاموا عليه وشربوا منه فسمّوا (غسان) وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان)(١٧) ٠

سادسا : القبائل العربية قبل الفتح الاسلامي :

قلنا بأن العرب قسمان بائدة (منهم عاد وثمود والانباط والتدمريون) وعرب عاربة وهم في الجنوب القحطانيون (ومنهم كهلان وحمير ومن طيء وهمدان ومذحج ثم عاملة وجزام ثم الازد ٠ ومن حمير قضاعة وتنوخ وكلب (وجهية وعذرة) ٠ أما في الشمال فهم العدنانيون وأهم اقسامهم ربيعة التي منها أسد ووائل التي منها بكر وتغلب ٠ أما مضر فمنها كنانة وهزيل وتميم وقيس عيلان ومن قيس هوازن وسليح وغطفان التي منها عبس وذبيان(١٨) ٠

أما في سورية فمن هذه القبائل عاملة وجذام ، سكنوا بادية الشام والازد في حوران ، وكلهم من كهلان من قحطان ، أما من حمير فقد سكنت الشام ، تنوخ في الشمال وكلب في بادية الشام ٠

أما من العدنانيين فقد سكنت في الجزيرة السورية تغلب من ربيعة واياد وتنوخ ونمر بن قاسط ، وسكن أيضا في حلب السلميون من طيء ٠

أما في بلاد الشام فقد سكنت غسان وتنوخ ولخم وجذام وعاملة وبطون من قضاعة منهم سليح وكلب وبهراء ومن سليح الضجاغم ومنها آل جفنة ٠

وقد كانت القبائل العربية في سورية تقسم الى قسمين ، عرب الضاحية وعرب

الجزيرة ويقول فيهم الاستاذ صلاح الدين المنجد « وهذه القبائل النازحة الى الشام كانت تسمى (عرب الضاحية) وكانت الروم تستفزهم قبيل الفتح على (عرب الجزيرة) وتذكر المصادر من عرب الضاحية بهراء وسليح وكلب وتنوخ ولخم وجذام وغسان وقضاعة من تزيد بن حيدان ونذكر الى جانب هؤلاء تغلب بن ربيعة التي نزلت بأرض الجزيرة وهي ديار ربيعة ومضر ونزل السلميون من طيء بحاضر قنسرين من أعمال حلب وبقوا فيها ٠

وينقل الاستاذ المنجد(١٩) أيضا عن مخطوطة بالظاهرية باسم « نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية » مايلي:

« وأما الذين خرجوا الى الشام في وقت الجاهلية منهم كلب وسليح وتنوخ ومسحجة والقين وبهراء وعذرة وجرم وجهينة ويلي أيضا وهم من قضاعة من ذرية حمير ٠

وأما لخم وجذام وغسان وازد فهم من ذرية كهلان ٠ وخرج طوائف كثيرة من اليمن من آل ذي الكلاع الحميري وآل ذي صبح وآل ذي رعين وآل ذي ظليم وحضرموت وآل ذي الشعبين وكندة والسكاسك والسكون ومذحج وهمدان وبجيلة وطوائف الازد من غسان وبارق وغيرهم ٠

فهؤلاء الذين افتتحوا الشام وصارت اقامتهم فيه الى الآن(٢٠) ٠

ويقول الهمداني : « مساكن من تشاءم (أي هاجر للشام) من العرب : أما مساكن لخم فهي متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر في الجفار ومنها في الجولان ومنها في حوران والبثينة ومدينة نوى وبها خلف بن جبلة القصيري وابن عزيز اللخمي مسكنة طرف جبال الشرة ٠ وأما جزام فهي بين مدين الى تبوك فالى ازرع ومنها فخذ ما يلي طبريا من أرض الاردن الى اللجون واليامون الى ناحية عكا٠ وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبريا الى نحو البحر وأما ذبيان فهي من حد البياض بياض قرقرة وهو غائط بين تيماء وحوران لايخالطهم الا طيء وحاضرهم السواد ومروو الحيانان ٠ وأما كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين ابن عليم وابن رباب المعقلي ٠ وأما حسمي فبني فزارة وجذام وهي من حدود جذام وبحسمي بئر ارم من منهل العرب المعروفة وقراقر بين كلب وذبيان وهو منهل وعراعير، وكان يوم قراقر وعراعر بين كلب وعبس ومن ديار غطفان يثقب وبيتقب روضة الأجداد » (٢١) ٠

ويستنبط من النصوص التي أوردناها ومن النصوص التي أوردها الاستاذ محمد كرد علي في خطط الشام (ج١ / ص ٣٥ ومابعدها) والاستاذ مصطفى مراد الدباغ في « بلادنا فلسطين » وفي القبائل العربية في فلسطين ٠ ان أهم القبائل العربية في سورية وتوزعها يكون على الشكل التالي

حسب الاحرف الابجدية :

ـ الازد : من كهلان من قحطان ، ومنهم الغساسنة .

ـ اياد : من تغلب من ربيعة ، وسكنوا في الجزيرة وفي حوران قرب حمص .

ـ بهراء : من قضاعة ، سكنوا في الجنوب السوري في حوران وشرقي الاردن وطولكرم والعقبة .

ـ تغلب : من ربيعة ،وسكنوا فيالجزيرة السورية ومنهم اياد .

ـ تنوخ : من حمير ، وسكنوا في الجزيرة السورية .

ـ جذام : من اليمن من قحطان ،سكنوا في طبرياو الى عكا .

ـ حسمى : وسكنت بين قبائل فزارة ومرام .

ـ ذبيان : من غطفان، سكنت في حوران والجنوب السوري .

ـ السلميون : من طيء ، وسكنوا في حلب .

ـ سليح : من قضاعة اليمن ، وسكنت في فلسطين والجنوب السوري .

ـ بنو حنية : وهم عدنانيون من قبائل طانجة ، سكنوا في جبل الشيخ ووادي التيم وأحفادهم قتلوا المتنبي .

ـ طيء : من القحطانيين من كهلان .

وقد خالطوا ذبيان في سكناهم .

ـ عاملة : من قحطان من كهلان وقد سكنوا جبل عامل (المنسوب اليهم)وأشرفوا على طبريا وحتى البحر .

ـ بنو عذرة : من قضاعة وسكنوا في وادي القرى وتبوك وفي أفاميا .

ـ غطفان : من قيس ومنها عبس وذبيان ، وقد سكنوا في النقب .

ـ قيس : من مضر ، سكنوا في الشمال الغربي من سوريا وخاصة في جبلة .

ـ القينبنجسر : من قضاعةالقحطانية سكنوا أطراف الشام بين حوران وتيماء .

ـ كلب : من قضاعة ، وسكنوا في جنوب الشام .

ـ كندة : منكهلان ، وسكنوا شيزر وطرطوس .

ـ لخم : من القحطانيين من كهلان ، سكنوا مصر والجولان .

ـ المر بن قاسط : من تغلب منربيعة ، وسكنوا في الجزيرة .

ـ همدان : من قحطان من كهلان ، وسكنوا في جبلة .

ـ يحصب : من قحطان من كهلان ، وسكنوا في اللاذقية .

سابعا : تأثير هذه القبائل في استقرار الفتح الاسلامي :

رأينا من خلال البحث ان العرب كانوا متوزعين في سوريا (على أكبر معانيها) توزعا كبيرا ومتسعا يكاد يطغى على البلاد بأكملها وقد كانت اللغة العربية معروفة ومتداولة قبل الفتح الاسلامي ومن خلال دراساتي في تاريخ صدر الاسلام لم أعثر على أي نص يفيد بأن هناك ترجمان قد نقل من العربية الى أهل سورية (ماخلا الروم منهم) بينما هناك نصوص كثيرة تدل على وجود تراجمة ونقله من السريانية (مثلا) الى العربية أو سواها الا أن على مايبدو ان العربية كانت مفهومة هناك (٢٢)٠

وقد قال محمد رضا في كتابه « الفاروق عمر بن الخطاب » ص ٩١ : « وكانت اللغة العربية يتكلم بها قبل الفتح الاسلامي بزمن طويل لما ثبت من انتشار الغسانيين والتنوخيين والسبأيين عدا اللغات السامية واللاتينية واليونانية ٠ ولم تلبث اللغة العربية سبعين عاما للفتح الاسلامي حتى انتشرت في الشام » ٠

ومع ان هذا القول لم يدعمه قائله بالوثائق ، الا انه من المعقول تصديقه ٠ وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعماله وقواده العسكريين أهمية القبائل العربية في الشام في تثبيت الفتح العربي الاسلامي ، لذلك اتخذ موقفا نحوها لجذبها للاسلام أو ابقائها في البلاد ولو عنوة ٠

فهذا أبو عبيدة الذي وجه أحد قواده وهو ميسرة بن مرة بن العبسي الى درب بغراس (مدينة قرب انطاكية) فلقي جمعا من الروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة (٢٣) ٠

ويقول الطبري : « وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد ابن نزار فانهم ارتحلوا بكليتهم فاقتحموا أرض الروم فكتب بذلك الوليد الى عمر بن الخطاب (٢٤) ٠

ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب الى ملك الروم : انه بلغني ان حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه أو لننبذن الى النصارى ثم لنخرجنهم اليك فاخرجهم ملك الروم (٢٥) ٠

كذلك نرى عمر رضي الله عنه يتساهل مع بعض القبائل العربية في الجزيرة (السورية) « وهم من تغلب فأرادوا اللحاق ببلاد الروم وامتنعوا عن أداء الجزية انفة أن يكونوا بمثابة الاعاجم والاعلاج ، فاجابهم عمر الى ماطلبوا ضنا بهذه القبيلة العربية الا تجلوا عن بلاد العرب » (٢٦) ٠

كذلك نجد أن عمر رضي الله عنه في صلح بيت المقدس ، قد اشترط اخراج

الروم منها بينما لما جاءه جبلة بن الايهم رأس بني غسان وكان هذا أسلم ثم ارتد وقاتل المسلمين مع الروم فقال له : تأخذ مني الصدقة كما تصنع العرب قال بل الجزية والا فالحق بمن هو على دينك ، فخرج في ثلاثين ألفا من قومه حتى الحق بأرض الروم » ٠

وندم عمر على ماكان منه في أمره (٢٧)٠

ثامنا : الخاتمة :

قدر الاستاذ مصطفى مراد الدباغ عدد العرب في سوريا عند الفتح الاسلامي ، وهم أبناء القبائل التي ذكرناها بربع مليون شخص ٠

وهذا ما يفسر قول رينه ديسو في كتابه « العرب في سورية قبل الاسلام » (ص ٢) اذا كان الفتح الاسلامي الذي وقع في القرن السابع الميلادي ، يبدو لي لو كان حادثا شاذا في اتساعه فهو في الحقيقة يعد حركة طبيعية للسكان العرب الذين كانوا يتجهون دائما استثنائيا الى غزو الاقاليم الحضرية فحسب بل الى الاقامة فيها أيضا ٠

ويتابع ويجب ألا يفهم من كلمة عرب سكان الجزيرة العربية فحسب ولكنها تتناول أيضا البدو الذين يجوبون وسط الجزيرة العربية وشمالها وكل بادية الشام ٠

مصادر البحث

١ ـ العرب في سوريا قبل الاسلام ٠ رينه ديسو ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ٠ طبع مصر عام ١٩٥٩ ٠

٢ ـ أمراء غسان ٠ ثيودور نولدكة ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق ٠ طبعة بيروت ١٩٣٣ ٠

٣ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د٠ جواد علي ٠ طبعة بيروت ٠

٤ ـ العرب في الشام قبل الاسلام ٠ محمد أحمد باشميل ٠ دار الفكر ـ بيروت ٠

٥ ـ النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية ٠ لويس شيخو ٠ طبعة بيروت ١٩١٢ ٠

٦ ـ القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ٠ مصطفى مراد الدباغ ٠ طبعة بيروت ٠

٧ ـ العصبية القبلية ٠ د٠ احسان النص ٠ دار الفكر بيروت ٠

٨ ـ العرب تاريخ موجز ٠ فيليب حتى دار العلم للملايين ٠

٩ ـ العرب في حضارتهم وثقافتهم ٠ عمر فروخ ٠ دار العلم ٠

١٠ ـ بلادنا فلسطين ٠ مصطفى مراد الدباغ ٠ ج١ /قسم١ / طبعة بيروت ٠

١١ ـ تاريخ الطبري للطبـري طبعة دار المعارف بمصر ٠

١٢ ـ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٠ فيليب حتى ٠ (ترجمة) ٠ طبعة بيروت ٠

١٣ ـ تاريخ هيرودوت ٠ ترجمة حبيب سترس طبعة بيروت ١٨٨٦ ـ ٨٨٧ ٠

١٤ ـ تاريخ العرب والاسلام في الجاهلية وصدر الاسلام ٠ د٠ نبيه العاقل ٠ دار الفكر

١٥ ـ تاريخ سوريا ٠ج ١ ـ قسم ١ ـ أسد الاشقر ٠

١٦ ـ جمهرة أنساب العرب ٠ ابن حزم الاندلسي ٠ تحقيق عبد السلام هارون ٠ دار المعارف بمصـر ٠

١٧ ـ حضارة العرب ومراحل تطورها عبـر العصور أحمد سوسة ٠ طبعة بغداد ٠

١٨ ـ حضارة العرب ٠ أسعد داغر ٠ طبعة مصر ١٩١٩ ٠

١٩ ـ صفة جزيرة العرب ٠ للهمداني ٠ تحقيق القاضي محمد علي الاكوع الحوالي طبعة بيروت ٠

٢٠ ـ روما والشرق ٠ سليم عادل عبـد الحق ٠ الطبعة الهاشمية ١٩٥٩ ٠

٢١ ـ دراسات في تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ٠ د٠ السيد عبد العزيز سالم دار المعارف ٠

٢٢ ـ خطط الشام ج ١ ٠ محمد كرد علي دار العلم للملايين ٠

٢٣ ـ معجم قبائل العرب ٠ عمر رضـا كحالة مؤسسة الرسالة ٠

المقالات والابحـــاث

١ ـ الزهراء : اتجاه الموجات البشرية في جزيرة ١٣٤٤ ، ص ٣٢٣ وما بعدها ٠

٢ ـ منازل القبائل العربية حول دمشق صلاح الدين المنجـد ٠

---

(١) العرب في سورية قبل الاسلام . ص٢ .

(٢) راجع « الزهراء » / ص ٣٢٥ .

(٣) راجـع اسـد اشقر (تاريخ سورية) ج ١ / قسم ١ / ص ٨١ .

(٤) أسد الاشقر / ص٨١ .

(٥) هيرودوت / ص ٤٦٧ .

(٦) « الزهراء » / ص ٣٢٦ .

(٧) انظر « الزهراء » / ص ٣٢٩ / وأسـد اشقر / ص ٨١ .

(٨) « الزهراء » / ص ٣٢٤ وما بعدها .

(٩) وردت في نص آشوري يعود لايام الملك (شلمنصر الثالث) عام ٨٥٤ هكذا ... أجمل الجنوب العربية) . انظر جواد علي / ج ١ / ص ١٦ . « والعـرب تاريخ موجـز » / حتي / ص ٢٧ .

(١٠) وردت في الكتابات البابليـة جملة ماتورابي أي « أرض العرب » وفي عهد دارا الكبير (أربيا) وتعني البادية في غرب نهر الفرات والى تخوم بلاد الشام انظر جواد علي / ج ١ / ص ١٧ و ١٨ .

(١١) وردت لدى هيرودوت عـام ٤٥٠ ق.م « وفرسـان

العرب كانوا لابسين ومسلحين كمشاتهم ايضا ولكن كان معهم كلهم جمال لا تكون سرعتها اقل من سرعة الخيل » انظر هيرودوت / ص ٤٦٧ .

(١٢) جواد علي / ج ١ / ص ٢٧ — ٢٨ .

(١٣) انظر جواد علي / ج ١ / ص ١٤ — ١٥ .

(١٤) انظر جواد علي / ج ١ / ص ٢٤ — ٢٥ .

(١٥) راجع « حضارة العرب » / أسعد داغر / ص ١٠ وما بعدها .

(١٦) راجع « العرب في الشام قبل الاسلام » ، / محمد أحمد باستيل / ص ١٧٥ وما بعد .

(١٧) انظر جواد علي / ج ٢ / ص ٢٨٧ . وانظر ايضا « الزهراء » / ص ٢٣٦ وما بعدها .

(١٨) انظر الشكل رقم (٢) .

(١٩) « منازل القبائل العربية حول دمشق » . صلاح الدين النجد ص ٦٤ .

(٢٠) المنجد ص ٦٢ .

(٢١) « صفة جزيرة العرب » للهمداني / ص ٢٧١ وما بعدها .

(٢٢) هناك بعض الاراء تقول بأن العربية (سان قريش) هي اساس اللهجات العربية الاخرى وهي بمثابة الفصحى للهجات العرب العامية الحالية .

(٢٣) انظر محمد رضا / ص ٢١٥

(٢٤) طبري / ج ٤ / ص ٥٤ وفي هذا النص نرى ان العرب في سورية ساعدوا العرب المسلمين ضد الروم .

(٢٥) طبري / ج ٢ / ص ٥٥ .

(٢٦) احسان « العصبية القبلية وأثرها في الشعر الاموي » ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢٧) خطط الشام / ج ١ / ص ٨٥ .

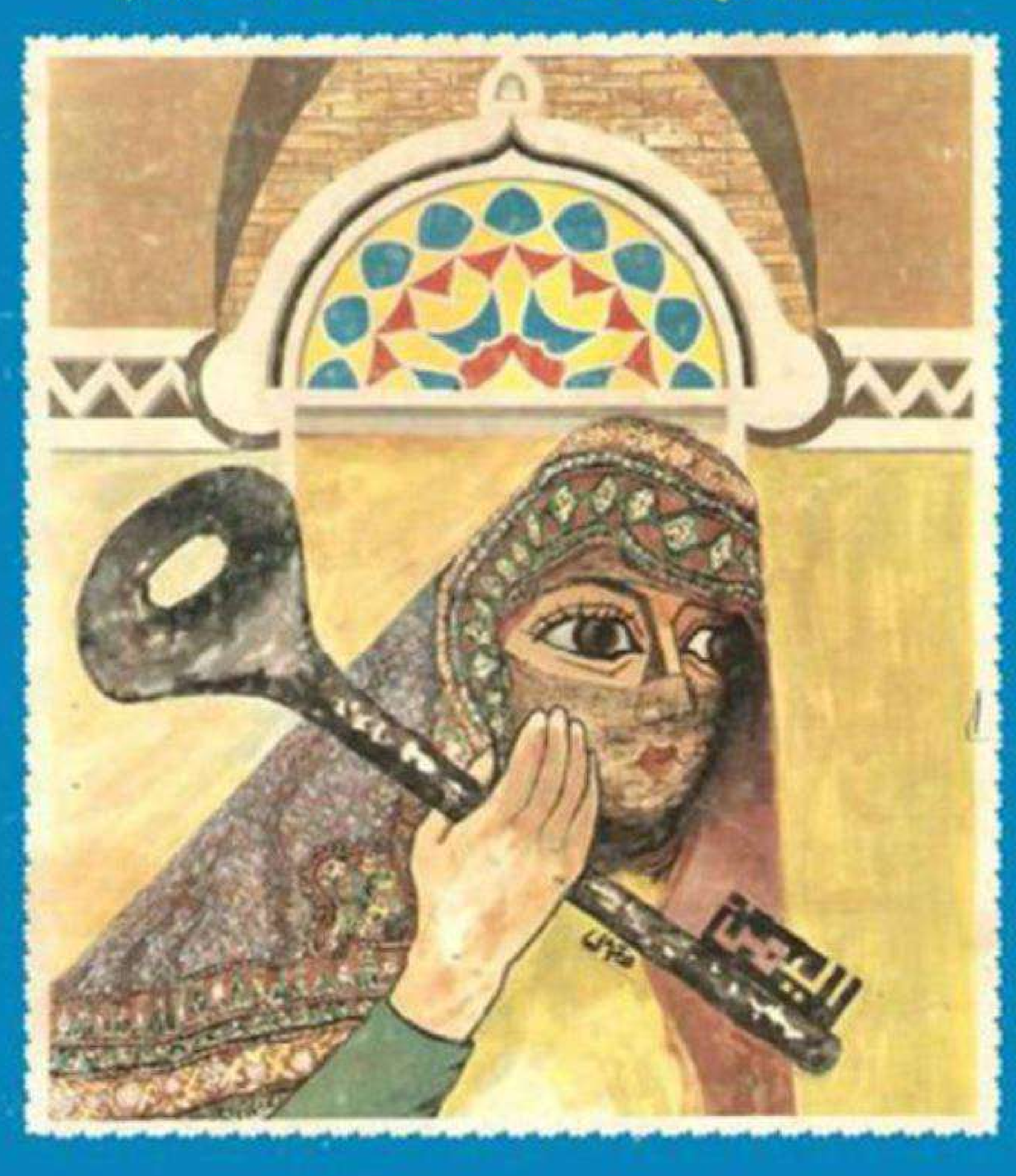
*

عدد خاص بصنعاء

الاكليل

مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري - تصدرها وزارة الاعلام والثقافة - صنعاء

العددان الثاني والثالث - السنة الثانية - ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م



رحلة أحمد وصفي زكريا الى اليمن وزيارته صنعاء

أحمد غسان سبانو

بقي اليمن في عزلة عن العالم لمدة طويلة وقد بقي اتصال اليمن مع الدول الاجنبية عبر التجار والتجارة ، اما داخل اليمن فقد كان اسطورة بعيدة . .

في اواخر القرن الثامن عشر بدأ بعض المغامرين والرحالة والعلماء والاثريين بمحاولات للوصول الى اليمن والتجول في اراضيه سواء بالطرق الرسمية او بطرق خاصة(١) .

اما بالنسبة للعرب ابناء الامة العربية فقد تأخرت زيارات العلماء والرحالة والمختصين الى اليمن إلى مطلع القرن العشرين حيث كانت أول زيارة (معروفة) إلى اليمن قد تمت من قبل الصحفي (عبد المسيح الانطاكي) صاحب مجلة العمران الصادرة في مصر ١٩٠٧ وقد نشر رحلته الى الخليج العربي والسعودية واليمن على حلقات في مجلته (العمران) .

كذلك قام السيد نزيه المؤيد العظم السوري بزيارة اليمن بصحبة المستر شارلز كرين الامريكي وبعدها قام بعدة رحلات واصدر كتابا عن رحلته نشر عام ١٩٣٦ وفيه صورة وحديث خاطف عن احمد وصفي زكريا ونشاطه في الزراعة باليمن ، كما قامت جامعة فؤاد الاول (القاهرة) بارسال بعثة الى اليمن من اعضائها الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى ناجي اصدر الاخير كتابا عن اللهجات اليمنية علم ١٩٤٦ .

ثم قام العلامة احمد وصفي زكريا برحلة الى اليمن تلك الرحلة التي نقدمها الان فمن هو وصفي زكريا وما هي قصة رحلته .

ولد في دمشق عام ١٨٨٩ واتم دراسته الابتدائية والثانوية فيها ثم انتقل الى استانبول والتحق بالمدرسة الزراعية العليا وتخرج منها مهندسا عام ١٩١٢ ثم تقلب في وظائف عدة في سوريا ولبنان والاردن وفلسطين الى ان تم

استدعاؤه عام ١٩٣٦ لليمن كمستشار فني زراعي ولمدة ستة اشهر كما كانت رغبة الامام يحيى وكما سنبين فيما بعد .

بعدها عاد ليعمل في العراق والاردن ، وفي سوريا حيث احيل على التقاعد عام ١٩٥٠ لبلوغه السن القانوني . وتفرغ بعدها لاستكمال ابحاثه ودراساته واصدار كتبه سواء منها المهنية الزراعية وهي (الدروس الزراعية ثلاثة اجزاء والمفكرة الزراعية والمحاصيل الحقلية (جزءان) أوكتبه التاريخية وهي (عشائر الشام (جزءان) والريف السوري (جزءان) وجولة أثرية) .

وكان عضوا في المجلس الاعلى للعلوم والاداب . وتوفي عام ١٩٦٤ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين .

لليمن عموما سحر على زائريه نستشفه من مؤلفات الرحالة الذين جابوا اطراف ومجاهل اليمن وذاك السحر الذي يشغل بال وقلب زائرها ويترك فيه الأثر الطيب وعشقا من نوع خاص يدفع به للعودة اليها وابقاء الصلة معها .

اصيب احمد وصفي زكريا بعارض هذا العشق ، فرغم قصر المدة التي اقام فيها هناك ورغم النشاط الذي ابداه من ايجاد مزروعات جديدة في اليمن استجلبها من بلاد الشام والعراق وايطاليا ومصر ، بما يتوافق مع البيئة الزراعية اليمنية ، وانشاء مدرسة زراعية درب بها بعض شباب اليمن ، الا انه لم يعد يفترق عن اليمن اطلاقاً . وانه لم يعد لزيارتها ثانية فقد بقي حتى آخر عمره يتابع أخبار اليمن ويدرس نشاطاتها وتطوراتها سواء في حقل الزراعة أم السياسة أم التاريخ أم الاثار .

وفي بحثي ضمن اطار اعداد هذه المقالة بين مخلفات العلامة احمد وصفي زكريا فقد عثرت على الكثير الكثير مما يخص اليمن واخبارها ومشاريع كثيرة للكتابة عنها وقد علمت ان في اليمن عدة مخطوطات تعود لاحمد وصفي زكريا سواء في حقل الزراعة ام في حقل التاريخ اليمني لكني لا اعرف كنهها .

وقد عثرت على عدة رسائل من مخلفاته تتناول استمرار سؤاله عن احوال الزراعة والحالة الزراعية هناك .

اعود للحديث عن مخلفاته عن اليمن فقد تبين لي بعض تدقيقها ان هناك بعض ما سبق نشره على شكل مقالات اعتبارا من عام ١٩٣٦ وما بعدها في صحف ومجلات مختلفة لصحف مصرية وهي تضم ستة مقالات بين كانون الثاني ١٩٣٧ وحزيران ١٩٤٠ ومجموعها ثلاث واربعون صفحة . كما نشر خلال اقامته في اليمن عدة مقالات في صحف يمنية صادرة هناك منها « الايمان » الصادرة بصنعاء و « صوت اليمن » .

ونشر ايضا في صحيفة تصدر باللاذقية باسم الجلاء .

وفي جريدة التربية الصادرة في حلب ومجلة غرفة زراعة حلب .

ونشر في الصحف الدمشقية مثل النصر والقبس والكفاح والف باء وغيرها .

ونشر في مجلة المعرفة السورية عن رحلته الى اليمن ايضا .

والقى محاضرة عثرت على نصها الكامل بين اوراقه ، وبقيت اهتمامات احمد وصفي زكريا في اليمن حتى وفاته وقد كان عاقدا النية على اصدار

كتاب عن اليمن وحول رحلته وترك مخطوطات كثيرة ارجو الله ان يهيىء لي ان اجمع شتاتها لاصدرها ككتاب عن رحلة احمد وصفي زكريا الى اليمن ووصفه له عام ١٩٣٦ .

قدراسل الكثيرين من اجل الحصول على معلومات ومصادر عن اليمن عثرت على جواب رسالة وجهها الى سفير سوريا في لندن الاليسدعبد الرحمن العظم والجواب مؤرخ من لندن في ٢٩/ ١/ ١٩٦٣ ، اي قبل وفاتة بعدة اشهر وهذه صورتها :

حضرة الاخ العزيز الاستاذ وصفي زكريا الاكرم ،

تلقيت رسالتكم بسرور بالغ وبعد انقطاع اخباركم عنا مدة طويلة . ولكن ما يبهج النفس ان نسمع انكم بخير وانكم قد عزمتم على مواصلة التأليف وخدمة الثقافة العربية بالكتابة عن بلد عربي عريق ، عن اليمن . غير ان الكتب التي الفت عن اليمن خاصة نادرة باللغة الانكليزية ، واكثر ما يكتب عن هذا البلد يوجد في كتب تؤلف عن شبه الجزيرة العربية او عن الشرق الاوسط كما ان في الموسوعة البريطانية مقال ذُيل ببعض المراجع وقد ارفقت قائمة بها طيا . اما الحصول على هذه الكتب فامر صعب جدا نظرا لان طبعاتها قديمة وقد نفدت ومن الممكن استعارتها من المكتبات العامة في دمشق او في بيروت واعتقد ان المجلس الثقافي البريطاني في بيروت قد يفيدكم في هذا الشأن .

فنأمل لكم التوفيق في هذا العمل القيم وان نسمع عن اخباركم السارة دوما والسلام .

لندن ٢٩/ ١/ ١٩٦٣ .

السفير

عبد الرحمن العظم

ويصف احمد وصفي زكريا اسباب الرحلة الى اليمن وموجزا سريعا عن اعماله فيها كما يلي استنادا الى مقدمة محاضرته التي نوهنا عنها فقال :

طوحت بي الاقدار في مطلع عام ١٩٣٦ الى اليمن الذي كان يوصف بكلمة (الداخل اليه مفقود والخارج مولود) وكان السبب في ذهابي ان بعض رجالات العرب الافاضل المهتمين بالقضايا القومية العربية ذهبوا - قبلي بسنة الى اليمن لزيارة المرحوم المتوكل على الله الامام يحيى حميد الدين الذي كان وقتئذ ملك اليمن . وكان هذا الامام شديد التمسك بقاعدة (ليس في الامكان ابدع مما كان) شديد التعلق بعقلية عصور الانحطاط الماضية فاخذ اولئك السادة خلال زياراتهم يحدثونه ويخبرونه بأن الدنيا قد تغيرت عما يعرفه هو والأمور قد تطورت وأمم - الشرق والغرب قد تقدمت وسبقتنا بمراحل فعلينا أن نلحقها ونحذو حذوها في ما ينفع ويضر . ونصحوه وطالبوه في جملة ما طالبوه أن يلتفت إلى اصلاح مرافق بلاده الفقيرة وموارد عيشها الضئيلة ولاسيما الزراعة التي لا مورد لشعب اليمن غيرها . على أن يرسلوا له مهندساً زراعياً يعمل في هذا الاصلاح . وبعد لأي قبل رحمه الله هذا الرأي! لكنه اشترط أن يتم هذا العمل المحتاج إلى عدة سنوات خلال ستة أشهر حددها ولم يزد . ولما رجع أولئك السادة وقع

اختيارهم علي وكلفوني . وبعد مداولات قبلت بهذه المجازفة وذهبت وقمت في تلك المدة القصيرة ـ رغم العراقيل والمثبطات التي صادفتها ـ بأقصى ما يمكن أن يؤتى في خدمة الزراع والغرس واستطعت أن أترك هناك أثارا خالدة من نباتات وأشجار مثمرة وغير مثمرة ما لم يكن لليمانيين عهد بها . جلبتها من سوريا وفلسطين ومصر وايطاليا وقدت تلاميذ يمنيين علمتهم ودربتهم في متابعة ما شرعت به . ثم رجعت عند انتهاء المدة المذكورة أحمد ربي على الخلاص من الامام وخلال أعمالي الزراعية المذكورة في صنعاء والاقضية والنواحي التي مكنوني من زيارتها كنت اتنسم المعلومات الجغرافية والتاريخية والعمرانية والاقتصادية وغيرها . فحصلت على نبذ منها نشرتها بعد رجوعي في بعض المجلات العلمية المصرية والسورية . وقد حفزني الى ذلك النشر وهذه المحاضرة كون اليمن لا يزال مجهولا في جملته عندنا معشر مثقفي العرب لم يكتب في اللغة العربية كتابات كافية عن جغرافيته الطبيعية والبشرية وعن احداثه وكوارثه الكثيرة التي وقعت في العهود الأخيرة . بينما الاتراك في زمن وجودهم هناك الف بعض قوادهم واطبائهم عدة كتب ورسموا خرائط . وقام قبلهم منذ مائتي سنة بعض المغامرين من الرواد الافرنج وخاصة الافرنسيين والانكليز والالمان .

ورغم ان زكريا قد عاش اكثر ايامه في اليمن في صنعاء الا انه لم يفرد لها مقالا سبق نشره او وصفا لما رآه فيها .

الا اني اثناء مراجعة اوراقه الكثيرة عثرت على بحث تحت عنوان « اوصاف مدن اليمن » تصدر الحديث فيه عن صنعاء وقد جاء حديثه من صنعاء في اربع صفحات اقدمها بما يلي بنصها الحرفي :

« صنعاء واقعة في الدرجة ١٥,٢٢ من العرض الشمالي و ٣٢,٤٤ من الطول الشرقي وهي في وسط سهل (افيح) يمتد من الشمال الى الجنوب ويحده من الشرق (جبل نقم) ومن الغرب (جبل عصر) وفصول السنة في صنعاء هي كالفصول الجارية في كل جبال (السرا) يصادف الربيع في اشهر كانون الثاني وشباط وآذار . والصيف في نيسان وايار وحزيران ، والخريف في اغستوس وايلول وتشرين اول والشتاء في تشرين الثاني وكانون الاول وكانون الثاني .

وتكون الحرارة في صنعاء ـ كما هي في كل بلاد الجبال ـ تحت دورها الحجرية في ايام الحر ٢٢ ـ ٢٧,٥ وفي ايام القر ١٠ ـ ١,٥ الى ٢٠ درجة .

ويحيط بصنعاء سور كبير ذو ابراج عديدة بني بنوع من الطين المقاوم لفعل الامطار مدة مديدة ويعنى بترميمه من حين الى آخر .

وفي صنعاء نحو ٥٠٠٠ بيت حجري و ٣٠ مسجدا او جامعا و ٢٠ حماما و ٢٠ خانا ويدعى الخان سمسره .

وسوقها كبير وذو حوانيت عديدة ولكنه عار عن الانتظام والترتيب وحوانتيه صغيرة ، ما عدا عددا قليلا بني في عهد العثمانيين الاخير وهي كبيرة واسعة ويقدر نفوس صنعاء بنحو ٢٥٠٠٠ مسلم و ٢٥٠٠ يهودي . . والمسلمون يعرفون الكتابة بالعربية كما ان اليهود يعرفون العبرانية وفي طرف صنعاء الشرقي بناء كبير كان دار الحكومة يقيم فيها

ولاة اليمن وكبار موظفيه وتجاه هذه الدار جامع (البكرية)المبني على الطراز التركي . وبقربها مدرسة للايتام ويوجد داخل (قلعة الصقر) مبان وثكنات عسكرية ومستودعات للعتاد والمؤن ومطحنة وجامع كان بناه (مراد باشا) حفار الابار - احد ولاة الترك القدماء .

وفي غربي صنعاء مستشفى عسكري كبير اتخذه الان الامام مقرا ومسكنا ودعاه (بدار السعادة) وفي (باب سبح) قرب هذا المستشفى مخفر عسكري . وفي (بئر العزب) دار عظيمة كان يقطنها الولاة العثمانيون وقد جعلوها الان مدرسة لطلاب العلوم الشرعية ، في قربها بناء عظيم جميل بناه (حسين حلمي باشا) باسم (مدرسة الصنائع) لا يزال مهجورا خاويا على عروشه .

وفي خارج صنعاء وفي جنوبها ثكنات عسكرية عظيمة تسع كوكبتين تدعى (الاوردو) منها ما كان للمشاة ومنها للمدفعية . وفي ذروة (جبل نقم) ثكنة اخرى .

ويمر من وسط صنعاء ماء يدعون (الغيل الاسود) يستقون منه ويروون بعض البساتين في ضاحية (شهوب)

وحدائق صنعاء كثيرة يكون فيها من اكثر اجناس الاشجار كالعنب والسفرجل والدراقن .. والخضراوات المتنوعة ..

وفي فصل الشتاء اذا وقفت خضراوات صنعاء عن الانتاج تأتيها من الاودية المجاورة البعيدة عنها نحو ٧ - ٨ ساعات في كل يوم فلا تنقطع البندورة مثلا طوال السنة .

وقد استجلب اليها الترك كثيرا من البذور والزهور والخضراوات واغراس الاشجار فنمت نموا حسنا الا ان اكثرها قد ضاع بعدهم . . .

وحول صنعاء ضواح جميلة منها (الروضة) التي تبعد نحو ثلاثة ارباع الساعة (ووادي ظهر) الذي يبعد ٢,٣٠ ساعة و (حدة) التي تبعد ١,٣٠ ساعة . ويذهب المترفون من اهل صنعاء الى القريتين الاوليين ويصيفون بها .

وينسج اهل صنعاء الفوط التي يلبسها الاهلون والبزوز السوداء والملاآت الخاصة بالنساء واغطية مفارش الدور .

وقد اختص اليهود ببعض الصناعات كصياغة الذهب وعمل البارود والحفر بالجص والعلب الفضية . وقد مهر البناؤون اليمانيون ببناء المباني الجسيمة المشهورة في صنعاء وغيرها . فهم قد حذقوا هندسة البناء ولهم مهارة خارقة في بناء الجدران والاقواس ، ونحت الاحجار ورصفها بعضها مع بعض ، ومن الغريب انهم يبنون الجدران الشاهقة وقبب الجوامع والحمامات والمآذن المرتفعة وامثالها من المباني المتناهية في العلو بدون قالب ولاصقالة ، ولا يعرفون استعمال الفادن (الشاقول) بل يقدرون استقامة المباني بالنظر بحيث انه يستحيل على الفادن ان يظهر لهم خطأ ما . وهم يستعملون نوعا من الجص يأتون به من (بني حشيش) و (بني حارث) القريبين من صنعاء ، وهو جص متين للغاية ، ولهذا تكون مبانيهم قوية .

ويحصل في النواحي السبع التابعة لصنعاء الحنطة والشعير والعدس والذرة الصفراء والحمراء والبيضاء والفول والذرة الشامية والخردل وفي بلاد (الشاب) وبلاد (الرسوس) مغارس البن .

وفي صنعاء وملحقاتها ـ كما في بلاد اليمن ـ ترى الثيران والابقار ذات السنام والجمل والحمير والغنم والماعز والدجاج ، ومن الحيوانات البرية المعز البري والغزال والارنب والثعلب والنمس . ومن الطيور القمري والحجل والغراب والعصفور والنسر .

وهواء صنعاء يوافق تربية الخيل حتى انها لا تصاب هنا بمرض (الصفافي) و(الفراحة) بتاتا وتعمر من ٣٠ ـ ٥٠ سنة .

وجنس الخيل ان لم يكن كخيل العراق والشام لكنها جميلة وسريعة على كل حال . وفي انحاء صنعاء تكثر القرود ويصادف قليل من النمور والضباع .

انتهى كلام السيد احمد وصفي زكريا ونكتفي في هذا الحديث على امل نشر مخطوطات ومنشورات احمد وصفي زكريا التي جمعتها عنه في وصفه وتسجيله لمشاهداته ورحلته الى اليمن .

---

١ ـ راجع مقالنا عن الرحلات الى اليمن في العدد الاول من مجلة الاكليل .

